الفُتُوّةُ في اصطلاح الصوفية

"دراسة تحليلية"

د/ رفعت عبد الرحمن علي عبد الرحمن
قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين القاهرة
جامعة الأزهر

الملخص

عنوان البحث: الفُتُوّة في اصطلاح الصوفية "دراسة تحليلية"

للباحث: رفعت عبد الرحمن علي عبد الرحمن/ المدرس بقسم العقيدة والفلسفة– كلية أصول الدين القاهرة –جامعة الأزهر.

ملخص البحث: يدور حول الإجابة عن أسئلته، وخطته، والوصول لنتائجه.

إشكاليات البحث: ما الفتوة؟ وهل للتسمية بها أصل؟ وما صفاتها وشروطها ومراتبها؟ وهل تربط الفتوة بين علم التصوف وعلم الكلام، وهل يمكن تخريج الفتوة على منهج الصوفية في المعرفة؟ ومتى يكون ترك الفتوة فتوة؟

منهج البحث: استخدمتُ المنهج الوصفي التحليلي، والمقارن، والنقدي.

خطة البحث: المقدّمة: ضمّنتُها مشكلة البحث والباعث عليه، وخطته، والمنهج المتبع فيه. و**المبحثان: أولهما:** في التعريف بالفتوة، وأصلها، ودرجاتها، وشروطها. **وثانيها:** في الفُتُوَّة والإيمان بالله تعالى وذكره، والفُتُوَّة وطريق المعرفة والإيمان بالله تعالى، والصلة بين التصوف وعلم الكلام في الفُتُوّة، والفتوة من فوائد ذكر الله بكلمة الشهادتين، والشبهة والرد، والفرق بين الفُتُوّة والتوكل بدرجاته، كالمسالمة والتفويض، والمروءة، ثم الرمزية في الفتوة، وهل تصح الفُتُوَّة صفة للباري تعالى؟ وإشاراتها، ومقام فُتُوّة لا فُتُوَّة، وأما الخاتمة: فجعلتها لأهم النتائج المصادر والمراجع، والفهارس.

أهم النتائج: مصطلح الفُتُوّة عند الصوفية يتفق مع أهل اللغة، وتصح فتوة المسلم المكلف مستقيم الحال صاحب المروءة، وتبطل فتوة غير ذلك، والتحقق بالفتوة طريق لخرق العادة والتأييد بالكرامات. فهي مقام صوفي ينطوي على حقائق إلهية، ومنهج يجعل أجنحة النفس تخفق صاعدةً، صعودًا لَا نعرفه وَلَا يُعرف بنتائجه لغير الصُّوفِيَّة الإسلامية، فمن خلالها يصل المريد للمعرفة الإلهية، وتصح الفتوة نعتًا إلهيًا، وذكر الله بلفظ الشهادتين يورث الذاكر مقام الفُتُوّة، وفيه رد على من قال الأفضل ذكر الله بالتهليل فقط. وترك الفتوة باصطلاح القوم مقام أعلى من مقام الفتوة.

الكلمات المفتاحية: الفتوة ، الصوفية ، الإلهام ، التخلية ، التحلية . البصيرة

The most important results: The term fatwa when Sufism agrees with the people of the language, and the fatwa of the Muslim in charge of the straight situation of the owner of virility is correct, and the fatwa is invalidated otherwise, and verification of the fatwa is a way to violate the custom and support with dignity. It is a mystical place that involves divine facts, and an approach that makes the wings of the soul fail upward, upwards that we do not know and does not know its results for non-Islamic Sufism, through which the aspirant reaches divine knowledge, and the fatwa is valid as a divine epithet, and the remembrance of God with the word of the two testimonies inherits the memory of the status of the bully, and in it he responded to those who said the best remembrance of God with lullaby only. And leave the bully by the term of the people a higher place than the position of the bully.

Keywords: bully, Sufism, inspiration, renunciation, sweetening . Insight

Al-Futuwwa (Chivalry) in Sufi Terminology: An Analytical Study

Refaat Abdul rahman Ali Abdul rahman

Email: RefaatAbdElRahman@azhar.edu.eg

Department of Creed and Philosophy – Faculty of Fundamentals of Religion Cairo – Al-Azhar University.

Abstract:

It's about answering his questions, his plan, and reaching his results. Research problems: what is a bully? Does the name have an origin? What are their qualities, conditions and ranks? Does the fatwa link the science of Sufism and theology, and is it possible to graduate the fatwa on the Sufi approach to knowledge? And when is leaving a bully a bully? Research Methodology: I used the descriptive, analytical, comparative, and critical approach.

Research Plan: Introduction: It includes the research problem, its motivation, its plan, and the method followed in it. The two sections: the first: in the definition of the bully, and its origin, degrees, and conditions. Second: in the fatwa and faith in God Almighty and his remembrance, and the fatwa and the path of knowledge and faith in God Almighty, and the link between Sufism and theology in the fatwa, and the fatwa of the benefits of remembering God with the word of the two testimonies, and suspicion and response, and the difference between the fatwa and trust in its degrees, such as pacifism and delegation, and virility, then symbolism in the fatwa, and is the fatwa valid as an attribute of the Almighty? And its references, and the place of a fatwa not a fatwa, and the conclusion: I made it for the most important results sources, references, and indexes.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الذي حلى منهاج الفُتُوَّة بإرشاده إلى كل حسنٍ واجب، وخلاها من المعاصي والمعايب، ورقَّاها إلى أعلى المراتب، وارتضى لها من أنبيائه وأوليائه من ظهر له الحق فقام بواجبه، ودام شاهدًا على مراتبه. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد، فالفُتُوّة صفة للعارفين، وجودها دليل التمسك بالدين القويم، والتخلق بها سير على صراط الله المستقيم، فوجودها مقياس نباهة الإنسان، وتفضله على غيره من المخلوقات، فاللهم اجعلنا من أهل هذه الحقائق، واسلكنا بها أحمد الطرائق.

ولما كان من معاني الفُتُوَّة حُسنُ الخلق، بالتخلي عن كل مذموم، والتحلي بكل حسنٍ ومحمود، فلا يخلو المريد في حال من الأحوال، ولا وقت من الأوقات إلا ويُطالب بنوع من الفتوة، فتوة يتخلق بها مع ربه جل وعز، وفتوة مع نبيه صلى الله عليه وسلم، وفتوة مع صحابته وفتوة مع مشايخه وإخوانه وجيرانه، وفتوة مع ولده ووالده وأقاربه. فهي مقام صوفي يمثل منظومة أخلاقية اجتماعية، بجانب أنها تنطوي على حقائق إلهية.

من هنا وجدت الفتوة بوجود الصالحين من الأنبياء والمرسلين، فأول من أجاب إلى دعوة الفتوة، آدم المؤيد بالأنوار والعصمة، وتابعه هابيل لما طرد عنه قابيل، ورُفع بها للمكان العلي إدريس، فابتعد عن كيد إبليس، وبها لقب إبراهيم الخليل،

فكسر رؤوس التماثيل، وشرف بها أهل الكهف والرقيم، ففازوا بدار النعيم. وفتح الله بها لحبيبه صلى الله عليه وسلم فتحاً مبيناً، فجعل عليها ابن عمه عليًا أمينا.(١)

ولما كان الدخول في الإسلام يبدأ بالطهارة، وهي تمثل تعليم الشرعيات التي افترضها الله على عوام المسلمين، قال تعالى «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ،..»(٢) وينتهي ببعض العباد بتعليم مقام وصفه الله تعالى بقوله « فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ،..»(٣)، فدل ذلك على أن العلم الذي ينتمي إليه هذا المقام هو أشرف العلوم وأخصها وهو علم الوجدانيات.

فالعلوم ثلاثة –كما علم جبريلُ عليه السلام أمةَ محمد –صلى الله عليه وسلم(٤)، اعتقاديات تبحث في ذات الله وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم

---

(١) للمزيد من اتصاف الأنبياء والمرسلين بالفتوة يراجع كتاب: الفُتُوّة لأبي عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد النيسابوري، (ت٤١٢هـ) (صـ٣، ٤، ٥) تحقيق: د. إحسان ذنون الثامري / د. محمد عبد الله القدحات / ط:١/ دار الرازي /عمان–الأردن٢٠٠٢م.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري/ لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦ هـ) (جـ٨/ صـ١٠٥) باب التواضع، حديث رقم(٦٥٠٢)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر/ ط:١/ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)١٤٢٢هـ .

(٣) الحديث السابق تخريجه.

(٤) حديث جبريل عن عمر بن الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ،.... وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ..... أخرجه مسلم في صحيحه. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم/ لـ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) (جـ١/صـ٣٦) حديث رقم (١) كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ معرفة

الأخر، وعمليات وهي الفقه وكيفية تطبيق الشرائع، ووجدانيات وهي علوم التصفية والآداب والأخلاق، فدل ذلك على أن المصطفى صلى الله عليه وسلم تكلم في جميع العلوم بجوامع كلم، يستنبط العلماءُ من ظواهرها، وجواهرها، وفصوصها علومًا لانهاية لها. فصلاح هذه الأمة في بدايتها كان انطلاقًا من هذه العلوم الثلاثة، عقيدة بمذهب أهل السنة الأشاعرة والماتريدية، وشريعة بمذاهب الفقهاء الأربعة، وسلوكًا وتخلقًا بطريق الصوفية، وكذا صلاحها في أيامنا المعاصرة، فوجب علينا حتى لو حرمنا البواطن ألا نُحرم الظواهر.

أدرك ذلك علماء الأمة المحمدية –على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم، وتحققوا بأهمية علم التصوف والأخلاق والأدب–في الحديث وعلومه، والفقه وأصوله، .. وغيرهم؛ فهذا الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦ هـ) يدون صحيحه في الحديث، ويُضَمِنَهُ كتابًا في الأدب، ويتابعه أكثر أصحاب السنن، ولم يكتف البخاري بذلك، بل دون كتابًا أخر في الأخلاق منفصلًا سماه الأدب المفرد، وتاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ) يكتب مختصره النفيس في أصول الفقه، يسميه جمع الجوامع ويختمه بالتصوف، والسيوطي (ت٩١١هـ) الذي كتب في جل العلوم والفنون، يدون كتابه تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، وغيره من رسائل الجهر بالذكر والاجتماع عليه....، فضلًا عن كتب ومنظومات علم الكلام، وخاصة ما دونه المتأخرون فلا تكاد كتبهم تخلو من التصوف...

بل هذا الشيخ ابن تيمية الحراني(ت٧٢٨هـ) بعد كثير طعنه في عقائد الصوفية لم يجد مفرًا من شرح كلام أكابر الصوفية في الجزء العاشر والحادي عشر من فتاويه، وهذا الناطق الرسمي باسم مدرسة ابن تيمية وتلميذه الأكبر: ابن القيم

الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ...تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت. بدون.

(ت٧٥١هـ) بعد طعنه في أهل السنة الأشاعرة والماتريدية الفقهاء والصوفية[١] يسير على درب أستاذه، **بل يؤلف** شارحًا لكتاب من أكثر كتب التصوف اشتمالًا على معاني عرفانية ذوقية تحتاج لتجربة لفهمها، وأكثر الكتب الصوفية تعقيدًا وإغلاقًا وتشددًا للتصوف، وهو كتاب منازل السائرين لأبي إسماعيل الهروي(ت٤٨١هـ)، فشرحه في كتاب سماه: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. بل **يحدثنا فيه عن الفتوة في فصل كامل** بعنوان: "وَمِنْ مَنَازِلِ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة/٥] مَنْزِلَةُ الْفُتُوَّةِ"، **ورغم إنكار ابن القيم(ت٧٥١هـ)** أن يكون مصطلح الفتوة قد ورد في لسان السلف، لكنه لا يلبث –وفي الصفحة نفسها– إلا أن يناقض نفسه، فينقل عن الإمام أحمد بن حنبل(ت٢٤١) أنه "سئل عن الفتوة فقال: "ترك ما تهوى لما تخشى".[٢]

فجل علماء الأمة المحمدية–دعاة للتصوف أو أعداء–يؤكدون على أن التدين بدون أخلاق لا يساوي شيئًا، فمن لم يكن له نصيب من الأخلاق التي ينادي بها الصوفية فليس له نصيب من الدين، من هنا نشأ الخلل وجاء الاضطراب للأمة المحمدية في الأزمنة الأخيرة المعاصرة، لما تعاطى كثير من الشباب لتدين العبادات مع تجردهم من القيم الأخلاقية التي لا تجد لها معنى إلا في كتب السادة الصوفية.

---

(١) على سبيل المثال: النبوات لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)(جـ٢/صـ٩٣٢) وما بعدها، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان/ ط:١/ أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية١٤٢٠هـ، ومختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة لابن القيم (ت٧٥١هـ) (جـ١/صـ١٨٢) شرح وتحقيق: رضوان جامع رضوان/ط: دار الفكر – بيروت١٤١٨هـ..... وغيرهما.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن القيم (ت٧٥١هـ)(جـ٢/صـ٣٤٠، ٣٤١) ط: ٢/ دار الكتاب العربي بيروت/١٣٩٣هـ.

ومصطلح الفُتُوّة بدلالته على الأخلاق والسلوكيات تغنى به شعراء الجاهلية(١) قبل الإسلام، مدللين به على مجموعة من الأخلاق تنضبط بها سلوكيات من يسمى بالفتى، منها: أخلاق حسنة كالفروسية والعزة والشجاعة، مضافةً إلى صفات سلبية، كالمداومة على شرب الخمور، ولعب القمار....، ولمّا جاء الإسلام أقر ما هو صحيح من هذه الأخلاق، فبقيت أخلاق كالعزة، والوفاء بالعهود، والكرم... كما هي، وأنكر ما يتنافى منها مع صحيح الإسلام، كشرب الخمور، ووأد البنات، وحرمان المرأة من الميراث؛ وكان ذلك لغايات روحية وأخروية أعلى من غايات المجتمع الجاهلي. فتخلى المجتمع المسلم عن الأخلاق المنافية لقيم الدين، وتحلى بمكارم الأخلاق الموافقة لصحيح الدين.

ولما وجد الصوفية لمصطلح الفتوة أصلًا في مصادر التشريع الإسلامية، على ما سيأتي، وكانت الفتوة تطلق قبل ظهور مصطلح التصوف على الفتيان المجاهدين المرابطين على الثغور، فيسمونهم بفتيان الثغور، وذلك لمَّا كان للجهاد داع وسبب، فلما تضاءلت بواعث الجهاد عمم السادة الصوفية مصطلح الفتوة من المرابطة على الثغور، وجهاد الكفار إلى معنى الجهاد الأعم الذي يشمل جهاد النفس وكسر صنمها، **وأدخل الصوفية** مصطلح الفتوة في مذهبهم في السير إلى الله تعالى، وصبغوه بصبغتهم(٢) الأخلاقية والمعرفية، بل وفي رموزهم

(١) يراجع في أقوال شعراء الجاهلية على سبيل المثال: ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب/ لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت٢٣١هـ) (جـ٢/ صـ٧٥٧، ٨١٤، ٨٤٧، ٨٧٦، ٩٣١، ١٠٨٤، ١١٩٢، ١٢٣١)تحقيق: عبد القدوس أبو صالح/ط:١/مؤسسة الإيمان جدة/ ١٩٨٢م، وللمزيد يراجع: الفتوة والصعلكة في الإسلام للدكتور أحمد أمين(صـ١-٢٥) ط: هنداوي ٢٠١٢م.

(٢) الفتوة والصعلكة في الإسلام للدكتور أحمد أمين (صـ٩، ٣١).

وإشاراتهم، من هنا تطور مصطلح الفتوة من خلال مدلولاته في الأوساط الإسلامية، فاتسعت معانيها في عهد بني أمية [1].

ومصطلح "الفتوة" بالمعنى الصوفي وإن اختلف عن المعنى التاريخي: الجاهلي والعربي في المنطلق والغاية، إلا أنه يرتبط برباط وثيق بالمعنى الخلقي الصوفي، كان هذا التشابه باعثًا لكثير الباحثين على البحث عن علاقة تأثير وتأثر بين الفتوة بمعناها التاريخي، والفتوة بمعناها الصوفي، وانتهى بحثهم أن الفتوة العربية اتصلت بالتصوف في مراحله الأولى[2]، وقيل إن أول من سمي بالفتى في الإسلام هو علي بن أبي طالب من النبي صلى الله عليه وسلم في قوله «لَا فَتًى

---

(١) وتتبع الأستاذ الدكتور مصطفى جواد/ تطور مصطلح الفتوة في العصور الإسلامية في مقدمته على تحقيق كتاب الفُتُوَّة لابن المعمار الحنبلي، فللمزيد يراجع مقدمة كتاب: الفُتُوَّة لأبي عبدالله محمد بن أبي المكارم المعروف بـ(ابن المعمار البغدادي الحنبلي) (ت٦٤٢هـ) (صـ ١٤٢) تحقيق: أ. د/ مصطفى جواد، أ.د/محمد الهلالي، أ.م/ عبد الحليم النجار، أ.م/أحمد القيسي/ ط: مطبعة شفيق بمكتبة المثنى بغداد ١٩٥٨م. وكتاب: الفتوة والصعلكة في الإسلام لـ د/ لأحمد أمين(صـ٣٥).

(٢) الفتوة والصعلكة في الإسلام للدكتور أحمد أمين(صـ٣١). موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة/ مفهوم الفتوة لـ أ.د/ أحمد الطيب (جـ١/ صـ٤٩٢) طبعة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر

إِلَّا عَلِيٌّ»[1] ومن هنا أخذ الصوفية الفتوة المتعارفة عليها بينهم[2]، وقيل: إن الحسن البصري(ت١١٠هـ)، أطلق عليه لقب: "سيد الفتيان"[3]

وكان من أول من استخدم مصطلح الفتوة بمقصده عند الصوفية–على حسب علمي حتى الآن–هو معاوية بن أبي سفيان(ت٦٠هـ) فقال: "الفتوة أن توسع على أخيك من مال نفسك، ولا تطمع في ماله، وتنصفه ولا تطالبه بالانتصاف، وتحتمل منه الجفوة ولا تجفوه، وتستكثر قليل بره، وتستقل ما يصل منك إليه"[4] وتبعه باستخدام مصطلح الفتوة الصوفية جعفر بن محمد الصادق(ت١٤٨هـ)، والْفُضَيْل

---

(١) ذكره الملا القاري في الأخبار الموضوعة برقم (٩٩٥) وقال: هو بَاطِلٌ، وَتَبِعَهُ الْقَسْطَلَّانِيُّ فِي مَوَاهِبِهِ. يراجع: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى/ الملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ) (جـ١/صـ ٣٨٤) تحقيق: محمد الصباغ/ ط: مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٢)تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد/ مع شرحه طرح التثريب في شرح التقريب، كلاهما لأبي الفضل زين الدين العراقي: عبد الرحيم بن الحسين (ت٨٠٦هـ) وأكمله ابنه: أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي أحمد بن عبد الرحيم المصري (ت٨٢٦هـ) (جـ٦/ صـ٢٢٣)ط: الطبعة المصرية القديمة. بدون.

(٣) الحسن البصري إمام الزاهدين/أحمد فريد المزيدي(صـ٨٣)ط: دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) تلخيص مَعجم الآداب في مُعجم الألقاب/ ابن الفوطي الشيباني الحنبلي (ت٧٢٣هـ) (جـ٤/ صـ٣٨٦) تحقيق: د/مصطفى جواد/ ط: وزارة الثقافة والإرشاد – دمشق. بدون، **وفي هذا النص رد على ابن القيم** عندما زعم أن أول من تكلم في الفتوة هو جعفر بن محمد الصادق يراجع: مدارج السالكين لابن القيم(جـ٢/صـ٣٤١).

بْن عِيَاض(ت١٨٧هـ)(١)، وأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، وسهل بن عبدالله التُستري (ت٢٨٣هـ)، والجنيد البغدادي (ت٢٩٨هـ) ثم تبعهم السادة الصوفية.(٢)

ثم صُنفت المؤلفات في الفتوة، لتوضيح أخلاق الفتوة الحقيقية الصوفية، فكتب أبو عبد الرحمن السلمي (ت٤١٢هـ) كتابه الفتوة، وبوب الإمام القشيري (ت٤٦٥هـ) بابًا في رسالته القشيرية سماه باب الفتوة، وتابعهم أبو إسماعيل الهروي(ت٤٨١هـ) وبوب بابًا في كتابه منازل السائرين للفتوة، وتابعهم محي الدين ابن عربي (ت٦٣٨هـ) وبوب أبوابًا ثلاثة في فتوحاته المكية لمقام الفتوة وأسرار الفتيان، وجاء أبو عبدالله محمد بن أبي المكارم المعروف بـ ابن المعمار البغدادي الحنبلي (ت٦٤٢هـ) وكتب كتابه الفُتُوّة، وتابعهم شيخ الأزهر أ. د/ أحمد الطيب، وكتب ثلاث صفحات عن مفهوم الفتوة، وكتب الدكتور أحمد أمين كتابه الفتوة والصعلكة في الإسلام،... وغير ذلك.

وعليه فقد تمكن مصطلح الفتوة عند الصوفية، حتى أن الصوفي يوصف بالتمكن من التصوف فيقال بأنه ذو فتوة كاملة، وكما أوجدوا للخرقة عندهم سندًا كذا جعلوا لفتوتهم إسنادًا ذهب جمهورهم إلى اتصال سند الفتوة بأمير المؤمنين ومن نام في فراشه صلى الله عليه وسلم، وهو علي بن أبي طالبτ.(٣)

وكما تطور مصطلح الفتوة عند الصوفية تغير مصطلح الفتوة عند أهل الأهواء المقبلين على اللهو والمتعة، ورجع لسابق أمره في العصر الجاهلي قبل الإسلام،

---

(١) الفُتُوّة لأبي عبد الرحمن السلمي(صـ ٤٨). و آداب الصحبة له أيضًا(صـ٤٦) تحقيق: مجدي فتحي السيد /ط:١/ دار الصحابة للتراث – طنطا – مصر ١٩٩٠م.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (جـ٢/صـ٣٤١).

(٣) طبقات الصوفية، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات/ لأبي عبد الرحمن السلمي (صـ٢٠٢) تحقيق: مصطفى عطا/ ط: دار الكتب العلمية١٩٩٨م. الفُتُوَّة لابن المعمار البغدادي(صـ١٣).

وتبدلت الفتوة الحقيقية إلى فتوة مزيفة، وأصبح من صفات الفتوة اللاهية شرب الخمور والألعاب والغناء. ففي أواخر عصر بني أمية في الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة وجد بالشام والعراق طبقة من الناس يعرفون باسم (الفتيان) يجتمعون للهو والسكر والغناء، وكان الغناء من أظهر لهوهم، كان يتغنى بعضهم ويرى ذاك زائداً في الفتوة(١). منذ ذلك الوقت وحتى يومنا توجد فتوة لاهية مزيفة، وفتوة حقيقية صوفية على الحق باقية.

وفى تطور آخر تغيرت الفتوة–تحت الحكم التركي–إلى تنظيم حركي شَكَّل خطرًا سياسيًا وأمنيًا ملحوظًا، وأصبح للفتوة جمعيات لها لباس وطعام وطريقة حياة خاصة، وأيضا كان لها من بينها "قضاة" يلقب الواحد منهم بـ "قاضى الفتيان". وبرغم الانحراف الخلقي الذي غلب على أخلاق حركة الفتيان في العصور المتأخرة، فإن أخلاقًا مثل: النجدة والموت من أجل الغير... ونحوها ظلت الطابع العام لهذه الحركة. والمعلومات التاريخية مضطربة اضطرابًا شديدًا في تحديد أوصاف "الفتوة" في عصورها المتأخرة، فيصعب تحديد ملامح لحركة الفتوة والفتيان. (٢)

مشكلة البحث وسبب اختيار الموضوع

١–لما كان للعقل أهمية كبيرة، ... كان لتوضيح معاني القوة منزلة عظيمة، فالقوة إما عقلية أو روحية أو مادية، وكان "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من

---

(١)الكامل في اللغة والأدب/ أبو العباس المبرد(ت٢٨٥هـ)(جـ١/ صـ٢٧، ٢٩، ٦٧) تحقيق: محمد أبو الفضل/ط:٣: دار الفكر العربي القاهرة١٩٩٧م. والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني(٣٥٦هـ) (جـ١٧/ صـ١٧٦)، (جـ٢٣/ صـ١٤٤، ١٩٩) تحقيق: سمير جابر/ ط: ٢/دار الفكر – بيروت/ بدون.

(٢) مفهوم الفتوة للدكتور أحمد الطيب(جـ١/صـ٤٩٢) ضمن موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة. وينظر في تطور مصطلح الفتوة، الفتوة والصعلكة في الإسلام لـ د/ أحمد أمين(صـ٣٥).

المؤمن الضعيف"[1]، من هنا وجب الاتجاه للفتوة وإيضاحها كمقام صوفي؛ فالفتوة مقام القوة؛ لأنها كسر دائم لصنم النفس.

٢-محاولة معرفة الجانب التطبيقي لمنهج الصوفية في المعرفة على مقام الفتوة، **وهل يمكن تخريج الفتوة على منهج الصوفية في المعرفة؟**

٣-لما كان المسلم مأمورًا بالجمع بين أجزاء الدين الثلاثة، عقيدة، وشريعة، وأخلاقًا وسلوكًا، كما ذكر ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث[2]، وكانت المنظومة الأخلاقية للمؤمن مرجعها للإحسان من أجزاء الدين، وهو التصوف، كان إيضاح معنى الفتوة الحقيقية -باعتبارها مقامًا صوفيًا يمثل منظومة أخلاقية- عند الصوفية واجبًا.

٤-محاولة تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة المنتشرة بين المسلمين كمفهوم الفتوة، والتي كان للتناول الدرامي لها في المسلسلات والأفلام التلفزيونية الدور الأكبر في انتشار الفهم الخاطئ للمصطلح، وما طرأ على مفهوم الفُتُوَّة من تغيرات جذرية، وانتشار للفتوة اللاهية؛ نتيجة للتطورات السياسية والاجتماعية، فعاد السلوك الجاهلي سمة بارزة فيمن يتصف بالفُتُوّة اللاهية، وأصبح من مرادفاتها شرب المخدرات، والزنا، والقتل، والغصب، والتشبه بالنساء، وبات قطع الطريق من أخلاق الشباب الفتيان، فالفتى على الحقيقة ليس من يتصف بصفات الفتوة اللاهية كما روجت لذلك الدراما المنتشرة بين المسلمين، فكانت هذه محاولة لتصحيح المفهوم، وإرجاعه لأصله الذي أقره الإسلام، استنادًا للأدلة والعلوم الشرعية الأخلاقية كعلم التصوف. وكانت الحاجة لبيان الفتوة التي تكسر صنم النفس بالتخلي عن شهواتها، والتحلي بأخلاق الفتيان الحقيقيين كالإيثار والزهد

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه(جـ٤/صـ٢٠٥٢) برقم(٢٦٦٤)باب فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ.

(٢) حديث جبريل عن عمر بن الْخَطَّابِ رضي الله عته، وسبق تخريجه.

ومكارم الأخلاق، وإظهار دور التصوف الإسلامي السني في كيفية معالجة مشكلات المسلمين.

إشكاليات البحث

يحاول البحث الإجابة عن مجموعة من الأسئلة أهمها:

ما معنى الفتوة؟ وهل لها أصل لغوي؟ وهل للتسمية بها أصل في القرآن الكريم؟ وما هي الصفات التي يجب أن تتوافر فيمن يتصف بالفتوة؟ وما شروط الفتوة ومراتبها؟ وهل يقتضي الاتصاف بالفتوة الإساءة للمؤمنين حتى ولو كانوا عصاة؟ وهل هناك اتصال بين علم التصوف وعلم الكلام من خلال الفتوة، وهل الفتوة تتبع المنهج العقلي في المعرفة والإيمان بالله تعالى؟ ولماذا يرتبط الذكر عند الصوفية بتعريفهم للإيمان؟ وكيف ارتبط ذكر الله تعالى بالفتوة؟ كيف نقارن بين الفتوة والتوكل بدرجاته؟ وهل ترك الفتوة فتوة؟

منهج البحث: استخدمتُ في هذا البحث:

١-**المنهج الوصفي التحليلي:** استخدمته في العرض والتحليل لآراء بعض الصوفية، وكذا آراء بعض أئمة علماء الكلام.

٢-**المنهج المقارن:** استخدمته في التتبع والجمع والمقارنة بين آراء الصوفية خاصة، وبينهم وبين المتكلمين والفلاسفة في بعض الجوانب؛ لتظهر جوانب الاتفاق والاختلاف؛ بحيث تتهيّأ بعد ذلك مهمة النقد.

٣-**المنهج النقدي:** واستخدمته في الموازنة بين آراء الصوفية وغيرهم. بحسب ما تمدّ به معطيات كل جزئية.

- **خطة البحث**:

قسّمتُ البحث إلى: **مقدمة**، **ومبحثين**، **وخاتمة**.

فالمقدّمة: فضمّنتُها إشكاليات البحث، والباعث عليه، وخطته، والمنهج المتبع فيه.

وأما المبحثان:

فأولهما: **في تعريفها وأصلها ومراتبها، وشروطها، وفيه مطالب**:

الأول: في التعريف بالفتوة لغة وفي اصطلاح الصوفية، وأصل التسمية بها، وبعض مظاهر الفُتُوّة في حياة الأنبياء عليهم السلام.

الثاني: شروط الفُتُوّة، ومن تصح، أو لا تصح، أو تبطل فتوته.

الثالث: درجات الفتوة ومراتبها.

الرابع: الفتوة بين الخلق والحال والمقام.

وثانيهما: **في الفُتُوَّة والإيمان بالله تعالى وذكره، والتوكل، وفيه مطالب**:

الأول: الفُتُوَّة والإيمان بالله تعالى، أول قدم في الإيمان الفتوة، وأول واجب على المكلف بين الأشاعرة والصوفية. طريق المعرفة والإيمان بالله تعالى في الفُتُوَّة، والمعرفة بين الفلاسفة والمتكلمين والصوفية.

الثاني: الفُتُوّة تجمع التصوف بعلم الكلام، فالفُتُوّة دليل على مذهب أهل السنة في خلق أفعال العباد. والفُتُوّة تقتضي عدم الإساءة لعصاة المؤمنين.

الثالث: الفتوة وذكر الله تعالى. حقيقة الذكر وفضله وأنواعه، والذكر منشور الولاية والفتوة، ومن فوائد ذكر الله بكلمة الشهادتين الفتوة، وشبهة والرد عليها بالفتوة.

الرابع: مقامات تعلوها الفُتُوَّة وتشاركها، الفرق بين الفُتُوّة والتوكل بدرجاته، كالمسالمة والتفويض، والفرق بين الفتوة والمروءة والآراء في ذلك.

<u>الخامس:</u> الرمزية في الفُتُوَّة: إشارة قرآنية ونبوية للفُتُوة، وهل تصح الفُتُوَّة صفة للباري تعالى؟ والتوقف في إطلاق الأسماء والصفات بين متكلمي الأشاعرة والصوفية، ومن الإشارات الشرعية للفُتُوّة الإلهية.

<u>السادس:</u> مقام فُتُوّة لا فُتُوَّة (ترك الفُتُوَّة).

وأما الخاتمة: فجعلتها لأهم النتائج، وأهم التوصيات التي انتهى إليها البحث، وأهم المصادر والمراجع، والفهارس.

والله تعالى من وراء القصد والهادي إلى طريق مستقيم.

*****

المبحث الأول

تعريف الفتوة لغة وفي اصطلاح الصوفية، وأصلها.

الفُتُوَّة لغة

الفُتُوَّة: فُعُولة من لفظ فتى، كالمروءة من المرء، والفُتُوَّة نهاية الكَرَم والسخاء.(١)

يقال: هو فتى بيِّن الفُتُوَّة، وقد تفتى وتفاتى، وفتى مفرد، والتَّثْنِيَة: فَتَيان، والجمع: فِتْيانٌ وفِتْوة وفُتُوّ وفُتيّ على فعول. (٢)

وقولُهم: الفُتُوَّة فِي الِاسْم والفُتُوُّ فِي الْجَمع؛ الياء قلبتها الضمةُ واواً على نَحْو قَلبهَا إِيَّاهَا فِي مُوقِنٍ ومُوسِرٍ، فقلبت الياء في الفُتُوَّة واواً؛ لأن غالبية هذا الضرب من المصادر على فُعُولة هو من الواو كالأُبُوَّة والأُخُوَّة فحملوا ما كان من الياء عليه فَلَزِمَ القلبُ.(٣)

فالفُتُوَّة لُغة صفة الفتى، واشتُقَّت منه، كالأبوَّة من الأب، والرُّجولة من الرجل، والأمومة من الأم، والأخوَّة من الأخ، واستُعيرت منذ أيام الجاهليَّة للدلالة على الشجاعة والسخاء(٤)

والخلاصة أن الفُتُوَّة في اللغة تطلق على معاني منها:

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/لأبي نصر الجوهري الفارابي(جـ٦/صـ٢٤٥٣) تحقيق: أحمد عطار/ط:٤/ دار العلم للملايين – بيروت– ١٩٨٧م

(٢) لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ) (جـ١٥/صـ١٤٧) ط:٣/ دار صادر بيروت١٤١١

(٣) المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ) (جـ١/صـ٦١) تحقيق: خليل جفال/ ط:١/دار إحياء التراث– بيروت١٩٩٦م، ولسان العرب لابن منظور (جـ١٥/صـ١٤٦).

(٤)الكامل في اللغة المبرد (جـ١/صـ٢٧، ٢٩، ٦٧) المخصص لابن سيده (جـ١/ صـ٦١، ١٤٦).

١ – شاب حدث السِّنّ، بين المراهقة والرجولة، أي في آخر مراحل المراهقة تقول: "تجمّع فتيان الحي لتنظيفه وتجميله– قال الله تعالى: عَنْ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ: إِنَّهُمْ {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء/٦٠]، وفتى الأحلام: صورة خياليّة لشابّ في ذهن الفتاة تتمناه زوجًا لها، وفتاة الأحلام: الفتاة التي يتمناها الشاب.

٢ – كريم، سخيّ، فتًى في قومه– هو فتى قومه– كما قال الشاعر:

إذا القومُ قالوا مَنْ فتًى خلت أنّني ... عُنيت فلم أكسل ولم أتبلَّد".[١]

٣ – خادم، مساعد، كما في قوله تعالى {وَإِذْ قَالَ موسى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ} الكهف/٦٠، والفتى هو يوشع بن نون؛ لقيامه على خدمته، قال تعالى {فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا} (الكهف/ ٦٢) [٢].

الفُتُوَّة في اصطلاح الصوفية

للسادة الصوفية رأيهم ومنهجهم في الفُتُوَّة الذي يغاير الأدباء والشعراء، فيستعملونها فيما يوافق تعاليمهم ويساير طريقتهم، في حال العبد مع نفسه، وصلته بغيره من الناس، وكيفية صلته بخالقه جل شأنه، وكيفية استخدام الفتوة للسالك في الوصول إلى ربه تعالى.

الفُتُوَّة في الاصطلاح الصوفي خاصة:

وتعدَّدت تعريفات الفُتُوَّة في اصطلاحات الصوفيَّة تعدُّدا يعكس تجارب مُعرِّفيها، وزوايا النظر التي من خلالها نظروا إليها، ولا يوجد تعريف جامع للفتوة؛ فيُعرفها كل عارف بحسب ما ظهر له، فعند فحص دلالاتها نجدها جملة من الفضائل

---

(١) البيت لطرفة بن العبد. الكامل في اللغة والأدب/ المبرد (جـ١/صـ٢٧، ٢٩، ٦٧).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس/ المرتضى الزَّبيدي(جـ٣٩/ صـ٢١٠)، معجم اللغة العربية المعاصرة / د أحمد مختار عمر(جـ٣/صـ ١٦٧٢) بمساعدة فريق عمل/ ط:١/ عالم الكتب ٢٠٠٨م.

كالسخاء والعفو والإيثار والسماحة من مكارم الأخلاق. بل مجملها، ومن هذه التعريفات:

١-**تعريف الفُتُوَّة بأصلها:** فهذا إمام الصوفية القشيري يؤَصِّلُ الفُتُوَّة فيقول: "أصل الفُتُوَّة أن يكون العبد دائمًا في أمر غيره".[١] ويمكن أن يكون القشيري مسترشدًا ومستنبطًا ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم« وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[٢]

٢-**الفُتُوَّة بمعنى مظهر الفتوة**

ويعرف بعض السادة الصوفية الفُتُوَّة بمعنى موضع تجلي وظهور الفتوة، فالفتى تتجلى فتوته وتظهر في تجاوزه عن عثرات الناس، والعفو عن زلاتهم. فعندما يسيئ الناس لمن يقوم بمقام الفتوة لا يحتاج هذا المسيء للاعتذار، فهذا الفضيل بن عياض(ت١٨٧هـ) عرف الفتوة بأنّها: "الصفح عن عثرات الإخوان"[٣]. وقال أبو محمد رُويم بن أحمد (ت٣٠٣هـ) الفُتُوَّة: "هي أن تعذر إخوانك في زللهم، ولا تعاملْهم بما يُحوِجك إلى الاعتذار منهم". ويمكن أن يكون ذلك استنباطًا من كلام سيد الأولين والأخرين صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»[٤] .

٣-**الفُتُوَّة بإيضاح خصومة الفتى** وهذه أولى درجات الفُتُوَّة على ما سيأتي، وفيها يعرف الصوفية الفُتُوَّة بترك الخصومة وفي ذلك يقول أبو بكر الورَّاق(ت٢٤٠هـ) في تعريف الفتى أنه: **"من لا خصم له"**. فكأنه يُعرفها بما

---

(١)الرسالة القشيرية/عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)(جـ٢/ صـ٣٨٠) تحقيق: الإمام/عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف/ ط: دار المعارف.

(٢) صحيح مسلم/ (جـ٤/صـ٢٠٧٤) برقم (٢٦٦٩) باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن.

(٣)عوارف المعارف/شهاب الدين، السهروردي (صـ٢٤٥)ط:١/مكتبة الإيمان ١٤٢٦هـ.

(٤)صحيح البخاري(جـ٨/ صـ٦) باب لَيْسَ الوَاصِلُ بالمُكَافِيء، حديث رقم(٥٩٩١).

ظهر له، بل بما ذاقه من معاني عرفانية، فظهرت عند المتأخرين عنه أن هذه أول درجات الفتوة، فعند الورَّاق(ت٢٤٠هـ) الفتى لا يخاصم أحدًا على حقه، بل يتركه له، فلو طلب الفتى حقه فقد جعل نفسه خصمًا، ولو لم ينطق بالطلب، وهنا خرج عن دائرة الفُتُوَّة، فالخصومة لا تتحقق مع الفُتُوَّة؛ لأن الخصومة لا تتحقق إلا لمن زاحم غيره على شيء يحبه، فلو تورع عن الدنيا وزهد فيها فلا خصومة عنده، ثم يرتقي الفتى في الفتوة درجة فيجعل الخصومة لنفسه وفي ذلك قال الشبلي [ت٣٣٤هـ]: "الفُتُوَّة: ألا تكون خصماً لأحد سوى نفسك والشيطان". فهذه أبلغ لأنه بعد أن ينتهي الصوفي فلا يوجد له خصم، يزيد على ذلك بمخاصمة نفسه، فصنم كل إنسان نفسه، فمن خاصمها وكسرها بمخالفة هواها فقد تحقق فيه قول الباري تعالى{قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء/٦٠]، فـ"الفتى من لا خصم له."(١) فالفتوة توجب التخلية للعبد من الرذائل والتحلية له بالفضائل.

٤- تعريف الفتوة بالتخلية.

التخلية هي تطهير النفس بتركها رذائل الأخلاق، وقبيح السلوكيات، والمهلك من الأعمال، فـ"الفتى من كسر الأصنام، قال تعالى:{قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء/٦٠] وصنم كل إنسان نفسه، فمن خالف هواه، **فهو فتى على الحقيقة**".(٢)

فسماه فتى، لأنه خلى –من التخلية– لله تعالى من نفسه وأهله وماله وولده، ووهب الكل لمن له الكل، وخلى من الكون وما فيه لما تسمى بالفتوة، وسمي به.

---

(١)الرسالة القشيرية (جـ٢/ صـ٣٨٠، ٣٨١)، معراج التشوف لابن عجيبة(صـ٣٧).

(٢)إحكام الدلالة لزكريا الأنصاري على تحرير الرسالة القشيرية (جـ٢/صـ٦٧٠) تحقيق: عبد الجليل العطا البكري/ ط:١/ دار النعمان للعلوم – دمشق١٤٢٠هـ.

ومخالفة الهوى تكون بكف الأذى عن الناس، واحتمال أذاهم [1]. وسمى الله تعالى أصحاب الكهف فتية؛ "لكونهم فتيانًا فارقوا أهلهم، وخرجوا إلى ربهم فارين إليه، معرضين عن حظوظهم الدنيوية، فمدحوا بكونهم تركوها لله؛ ولذلك خُرقت لهم العادة، فلبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعًا، ولم يتغير لهم حال"[2]. فالتخلية تمهد طريقًا لخرق العادة والتأييد. فلو تحقق العبد بمقام الفتوة فتحت له الأبواب.

٥-تعريف الفتوة بغايتها: بالخُلُق

عرف بعض الصوفية الفُتُوَّة بتعريف يجمع تمام الأخلاق كلها، وهذه هي غاية الفتوة، فالفتوة هي التخلق بمكارم الأخلاق وأعاليها. وفي ذلك يقول أبو علي الدقاق [ت٣٠٧هـ]: "الفُتُوَّة: هذا الخلق"[3]. فالتخصيص بالإشارة؛ لمراعاة مقام الشفاعة الذي لا يكون لأحد من الأولين والأخرين إلا سيد الخلق أجمعين محمدٌ صلى الله عليه وسلم، وإلا فكمال كل خلق لا يكون إلا له صلى الله عليه وسلم،[4] وعليه لم تكمُلِ الفُتُوَّة إلا لحبيب الرحمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول في موضع لا يذكُر فيه أحدٌ إلا نفسه: (أُمّتي أُمّتي).[5] فهذا دليل على

---

(١) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي(ت٤١٢هـ)(صـ٥)، الفتوحات المكية لابن عربي (ت٦٣٨هـ) (جـ١/صـ٣٦٨)ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين/ ط:١/ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٩م.

(٢) إحكام الدلالة لزكريا الأنصاري على تحرير الرسالة القشيرية (جـ٢/صـ٦٧٠).

(٣) إحكام الدلالة لزكريا الأنصاري على تحرير الرسالة القشيرية (جـ٢/صـ٦٧٠).

(٤) نتائج الأفكار القدسية للعلامة مصطفى العروسي في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية لزكريا الأنصاري(جـ٣/صـ٢٩٨، ٢٩٩) تحقيق: عبدالوارث محمد/ط:٢/دار الكتب العلمية لبنان ٢٠٠٧م.

(٥)صحيح البخاري(جـ٩/ صـ١٤٦) باب كلام الرب عزوجل حديث برقم(٧٥١٠)

كمال شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته، واهتمامه بأمرهم واعتنائه بمصالحهم؛ لأن انشغاله صلى الله عليه وسلم بغيره أي بأمته في هذا المقام هو غاية الفُتُوَّة.ويعرف عمرو بن عثمان المكي[ت/٢٩١-٣٠٠هـ] الفُتُوَّة بتعريف يشمل الأخلاق الحسنة فيقول: "الفُتُوَّة حسن الخلق؛ لاشتمالها على جميع الصفات الحميدة"[١]، وقال السلمي(ت٤١٢هـ): "الفتوة هي: حسن الطاعة، وترك كل مذموم، وملازمة مكارم الأخلاق ومحاسنها، ظاهرًا وباطنًا وسرًا وعلنًا، وكل حال من الأحوال، ووقت من الأوقات يطالبك بنوع من الفُتُوَّة، فلا يخلو حال من الأحوال عن الفُتُوَّة"[٢]. ويجمع هذا كله قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم «وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» [٣] أي: عَاشَرهم على أخلاقه، فمن تخلق بالخلق الحسن امتثالًا لذلك فقد تفتى.[٤]

٦- **الفُتُوَّة بمعنى حُسن الصُّحبة:** قال السُلَمي(ت٤١٢هـ):"الفُتُوّة الوفاء بحقِّ الصُّحبة بحيث لا تربح على صديقك"[٥]، فمن أهم ما يُفسد المحبة بين الأصحاب خاصة والناس عامة المصالح الشخصية، فإذا ارتفع الإنسان عن ذلك انقطعت المطامع وفيت الصحبة حقوقها، وتحققت أهم معاني الفُتُوَّة. وليس أدل على إثبات هذا المعنى للفتوة من فتوَّة سيدنا علي رضي الله عنه، حيث إنَّه جاد بنفسه، ونام

(١) إحكام الدلالة لزكريا الأنصاري على تحرير الرسالة القشيرية (جـ٢/صـ٦٧٠).

(٢) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي (صـ٥) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم(٢٢٠٦٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن. مسند الإمام أحمد بن حنبل/ للإمام أحمد بن محمد بن حنبل(ت٢٤١هـ) (جـ٣٦/ صـ٣٨١)تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون/ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي/ ط:١: مؤسسة الرسالة١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

(٤) نتائج الأفكار القدسية للعلامة مصطفى العروسي (جـ٣/صـ٢٩٨)

(٥) الفُتُوَّة لابن المعمار الحنبلي(صـ ١٤٢)

على فراش النبيِّ صلى الله عليه وسلم فداءً له ووفاءً بحقِّ الصحبة، يوم الهجرة[1]، و"لما صحت صحبة يوشع مع موسى عليهما السلام استحق اسم الفُتُوَّة؛ قال تعالى: «فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا» (الكهف /٦٢). [2]

وهذا أبو عبد الرحمن السلمي(ت٤١٢هـ) يعطينا نصًا يصلح أن يكون منهجًا في كيفية وضع الفتوة في المنظومة الأخلاقية من خلال الصحبة، في كيفية استخدام مقام الفتوة في صحبة المريد للوالدين والأولاد، كيفية استخدام الفتوة في صحبة الجيران، والأغنياء، والفقراء، بل وفي كيفية استخدام الفتوة في صحبة العلماء والأولياء، وغيرهم، يقول فيه: "**ومن الفتوة كرم الصحبة والقيام بحسن الأدب فيها وهو:** أن يصحب من فوقه بالتعظيم، ويصحب من دونه بالعطف والرحمة، ويصحب أشكاله بالموافقة والألفة، ويصحب الوالدين بالخضوع والمطاوعة، ويصحب الأولاد بالرحمة وحسن التأديب، ويصحب الأقارب بالبر والصلة، ويصحب الإخوان بدفع المجهود في المحبة وصدق المودة، ويصحب الجيران بكف الأذى، ويصحب الفقراء بتعظيم حرماتهم ومعرفة أقدارهم، ويصحب العامة ببشاشة الوجه ولين الكف، ويصحب الأغنياء بإظهار الاستغناء عنهم، ويصحب العلماء بقبول ما يشيرون به عليه، ويصحب الأولياء بالتذلل والانقياد لهم، وترك الإنكار عليهم، ويجتنب في أوقاته صحبة المبتدعين والمدعين والمظهرين بالزهد رغبةً في استتباع الناس"[3].

---

(١) رسالة الملامتية لأبي عبد الرحمن السلمي(صـ١١٢)ضمن ك الملامتية والصوفية وأهل الفُتُوَّة لأبي العلا عفيفي /ط: دار احياء الكتب العربية الحلبي وشركاه ١٩٤٥م.

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري (جـ٢/ صـ٤٠٦) تحقيق: إبراهيم البسيوني/ ط:٣/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر. بدون.

(٣) الفتوة للسلمي(ت٤١٢هـ) (صـ٥٦) الفتوحات المكية لابن عربي (جـ١/ص٣٦٦، ٣٦٧).

٧-**الفُتُوَّة عند سيد الطائفة الجنيد:** يعرف الجنيد الفتوة فيقول: "الفُتُوَّة كف الأذى، وبذل الندى، وكف الشكوى. وألا تُنافر فقيرًا، ولا تُعارض غنيًا"(١)، فتجمع الفتوة عنده مكارم الأخلاق: كحماية الضعيف ونكران للذات والكرم والسخاء...، بل ترتفع إلى ترك النظر إلى الأعمال نظرة اعتبار وتقدير، وعلى ذلك فالفُتُوَّة عنده هي أعلى درجات الزهد، وهي الزهد طوعًا، بل ويزهد في زهده فلا يرى هذا العمل زهدًا، يظهر ذلك من خلال قوله: "الفُتُوَّة عندي ترك الرؤية وإسقاط النسبة".(٢)

٨- **نكتة الفُتُوَّة تعريفها بخُلطة الفتى** ، ونكتة الشيء خلاصته وأهم ما فيه، وخلاصة الفُتُوَّة وأشرف خصالها، وأهم ما يميزها عن غيرها، **بمعنى كيفية مخالطة الفتى لغيره،** أو بمعنى عدم رؤية فضل للنفس، كما ذكر ذلك القاشاني (ت٧٣٥) في شرحه على منازل السائرين فقال: "الفُتُوَّة: ألا ترى لك فضلًا، ولا تشهد لك حقًا على غيرك، حتى لو عرفت فضلك ظاهرًا؛ لخفاء باطنه، وخفاء العاقبة عليك لجواز التبديل والتغيير."(٣)

فالفُتُوَّة قوة تقتضي أن يبذل الصوفي كل ما في وسعه، ولا يشهد الفضل إلا لله تعالى فقط. فلا يرى لنفسه فضلا أي زيادة على أي أحد، فالحقوق كلها واجبة

---

(١)الرسالة القشيرية (جـ٢/صـ٣٨١)، شرح الأنفاس الروحانية للجنيد وابن عطاء/ لـ شمس الدين الديلمي (ت٥٨٩هـ) (صـ١٥) تحقيق: أحمد فريد المزيدي /ط: دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(٢)المقدِّمة في التصوُّف، لأبي عبد الرحمن السلمي(صـ٤٨) تحقيق: يوسف زيدان/ ط١/ دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩م.

(٣) منازل السائرين لأبي إسماعيل الهروي(ت٤٨١) وشرحها القاشاني (صـ ٢٤٨) تحقيق: محسن بيدارفر/ ط:١/مؤسسة التاريخ العربي ودار الحوراء للطباعة والنشر – بدون. و إحكام الدلالة لزكريا الأنصاري (جـ٢/ صـ٦٦٩)

عليه، ولا يجب له أي حق؛ "فإن من خصوصية الصفاء شهود فضل الله والناس، ومحو أنانية الشيطنة ورعونة النفس وطولها"(١). فليس من الفُتُوَّة أن تذكر ما تصنعه لغيرك، مزايدة عليه، ففرعون لما لم يتصف بالفتوة ذكر صنيعه وامتن به على موسى عليه السلام، {قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا} [الشعراء/١٨]، وقال الحارث المحاسبي: "الفُتُوَّة أَن تُنْصف ولا تَنْتصف"(٢)، فينصف المرء غيره، ولا ينتصف لنفسه، ولا يطالبُ غيره بأن ينصفه، يؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم«رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»(٣) ولا يتفاخر بالفُتُوَّة فـ"يأتيها ولا يرى نفسه فيها".(٤)

الخلاصة أن تعريف الفُتُوّة عند الصوفية يتفق في بعض التعاريف مع تعريف الفُتُوَّة عند أهل اللغة، فكما أن الفُتُوَّة عند أهل اللغة يختص معناها بأعلى درجات السخاء والكرم –كما مر بيانه–، يتسع معنى الفُتُوَّة في الاصطلاح الصوفي ليشمل مجموع مكارم الأخلاق، فالسخاء من مكارم الأخلاق، فيقول السلمي(ت/٤١٢هـ): ومن الفتوة السخاوة(٥). وهذا أبو بكر محمد بن محمد بن جعفر الشبهي(ت قبل ٣٦٠هـ) يقول: "الفُتُوَّة حُسْن الخلق وبذل المعروف"(٦) فالفُتُوَّة هي استعمال الأَخلاق الكريمة مع الخَلْق. وقال عمرو بن عثمان

---

(١) شرح القاشاني على منازل السائرين (صـ ٢٤٨) .

(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/الفيروزآبادى(جـ٤/صـ١٧١)تحقيق: محمد علي النجار/ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية–لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة ١٩٩٢م.

(٣) صحيح البخاري(جـ٢/صـ٧٣٠) برقم(٢٠٧٦) باب السُّهُولَةِ فِي الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ.

(٤)الملامتية والصوفية وأهل الفُتُوّة لأبي العلا عفيفي(صـ٤١) والفُتُوّة لابن المعمار (صـ ١٥٥).

(٥)الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي(ت٤١٢هـ)(صـ٩)

(٦) طبقات الصوفيَّة، لأبي عبد الرحمن السلمي(صـ١٥٧).

المكي[ت/٢٩١-٣٠٠هـ]: "الفُتُوَّة حسن الخلق؛ لاشتمالها على جميع الصفات الحميدة"، قال شيخ الأزهر مصطفى العروسي (ت١٢٩٣هـ) شارحًا ومعقبًا: "قوله الفُتُوَّة حسن الخلق، قد استوعب حقيقة الفُتُوَّة فلله دره."(١)

وخلاصة الفُتُوَّة في تعريفات الصوفية أنها: "الرجوع إلى صفاء الفطرة، فهي جماع الفضائل الخلقية، والتنزه عن الرذائل النفسية، والألواث الطبيعية"(٢).

والتعريف الراجح هو ما ذكره القاشاني(ت٧٣٥هـ) في شرحه على منازل السائرين **فقال:** "**الفتوة اسم لمقام القلب الصافي،** وذلك الصفا هو زيادة الهدى بعد الإيمان؛ ولهذا لما سأل موسى ربه عن الفتوة قال: أن تردَّ نفسك إليَّ طاهرة، كما قبلتها منيِّ طاهرة "(٣)؛ فهذا التعريف يربط الفتوة عند غير الصوفية بالفتوة عند الصوفية التي ترتبط بمنهج الصوفية في المعرفة، والمبني على الإيمان بالبصيرة، وبلا وساطة من الأدلة العقلية والنقلية -وسيأتي مزيد بيان لذلك- **فكأن الأخلاق هي الطريق الموصل لصفاء القلب، وزيادة في الهدى بعد الإيمان.**

فحقيقة الفُتُوَّة عند الصوفية لخصها ابن عربي قائلًا: "فحقيقة الفُتُوَّة هي: أن يؤثر العبد كل ما جاء به الرسل على هوى نفسه، وعلى أدلة عقله، وعلى ما حكم به فكره ونظره إذا خالف ما جاءت به الرسل. **هذا هو الفتى**".(٤)

أصل التسمية بالفُتُوَّة عند الصوفية

للصوفية في التسمية بالفُتُوَّة أصل في القرآن الكريم: فلقد سمى الله تعالى أصحاب الكهف فتية في قوله؛ (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى). الكهف/١٣؛

---

(١) نتائج الأفكار القدسية للعلامة مصطفى العروسي (جـ٣/صـ٣٠٠) .

(٢) معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (صـ٢٦١) تحقيق: د عبد العال شاهين/ ط:١/ دار المنار بالحسين القاهرة ١٩٩٢م.

(٣) شرح منازل السائرين القاشاني (صـ ٢٤٨) .

(٤) الفتوحات المكية لابن عربي(ت٦٣٨هـ) (جـ٣/صـ٣٥٢) .

"لكونهم فتيانًا فارقوا أهلهم، وخرجوا إلى ربهم فارين إليه، معرضين عن حظوظهم الدنيوية، فمدحوا بكونهم تركوها لله؛ ولذلك خُرقت لهم العادة، فلبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعًا، ولم يتغير لهم حال"(١). فالتخلية بتطهير النفس بتركها رذائل الأخلاق، وقبيح السلوكيات، والمهلك من الأعمال، يمهد طريقًا لخرق العادة والتأييد، كما حدث بحفظ الله تعالى لأصحاب الكهف.

بل إن الذي يسمى فتى على الحقيقة هو من كسر صنم نفسه، وترك الاشتغال بلذاتها وشهواتها، وخالف هواها؛ قال تعالى: {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء/٦٠] ، وقال أيضًا:{فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا} الأنبياء/٥٨، "فصنم كُل إِنْسَان نَفْسه، ومن يخالف هواه فَهُوَ فتى عَلَى الحقيقة، وهذا ليس تفسيرًا للآية، بلهو إشارة مستفادة منها، باعتبار أن إبراهيم عليه السلام كسر الأصنام لأنهم كانوا يعبدونها، ومن هنا سُميت نفس العبد صنمًا؛ لكثرة اشتغال العبد بشهواتها ولذاتها، لكونه مسخرًا لها كالعبد، كقوله صلى الله عليه وسلم :«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، وَالدِّرْهَمِ »(٢) .... فسماه عبدًا لهذه الأشياء لذلك.(٣)

ولما كانت الفتوة هي القيام بحقوق الله تعالى حق القيام، قال تعالى حاكياً {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء/٦٠]، **فسماه فتى،** لأنه **خلى** –من التخلية– لله تعالى من نفسه وأهله وماله وولده، ووهب الكل لمن له الكل، **وخلى** من الكون وما فيه لما تسمى بالفتوة، وسمي به. فأطلق الله على ألسنتهم فتوة إبراهيم بلسانهم، فـ"كان من فتوته عليه السلام أن باع الكل في حق أحدية خالقه لا في حق خالقه، لأن الشريك ما ينفي وجود الخالق، وإنما يتوجه على نفي

---

(١) إحكام الدلالة لزكريا الأنصاري على تحرير الرسالة القشيرية (جـ٢/صـ٦٧٠).

(٢) صحيح البخاري (جـ٤/ صـ٣٤) باب الحراسة في الغزو في سبيل الله حديث رقم(٢٨٨٦، ٢٨٨٧)، (جـ٨/ صـ٩٢) باب ما يُتقى من فتنة المال حديث رقم: (٦٤٣٥).

(٣)إحكام الدلالة لزكريا الأنصاري على تحرير الرسالة القشيرية (جـ٢/صـ٦٧٠).

الأحدية[١]؛ لأنه لا يقوم في هذا المقام إلا من له القطبية[٢] في الفتوة بحيث يدور عليه مقامها". [٣]

بعض مظاهر الفُتُوّة في حياة الأنبياء عليهم السلام: الفُتُوَّة هي خُلُق الأنبياء. فقد كان إبراهيم الخليل عليه السلام أبا الفتيان؛ حيث كسَّر الأصنام، وأعرض عن الأنام، وحين ألقوا به إلى النار قال له جبريل هل لك حاجة؟ فقال: أما لك فلا. فتولَّى الله قضاء حاجته بنفسه[٤]، وهذا سيدنا يوسف عليه السلام يقول لإخوته (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يوسف/٩٢، ولم تزل الفُتُوَّة تتَّصل بالأنبياء والصدّيقين، وتنتقل منهم حتى وصلت إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أفْتى الفتيان، لكونه –حين يصمت كلٌّ الأنبياء يوم القيامة– يقول: أمَّتي أمَّتي [٥]. فيشتغل بأمر غيره عن نفسه في ذلك اليوم

---

(١) الأحدية أخذًا من قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) الإخلاص/ ١، والأحدية: اعتبار الذات وحدها مع انتفاء اعتبار أي كثرة، حتى لو كانت هذه الكثرة هي الأسماء والصفات الذاتية، فهي اعتبار الذات مع اسقاط أي كثرة، أما الواحدية فهي: اعتبار الذات مع اعتبار اشتمالها على أسمائها وصفاتها، معجم اصطلاحات الصوفية عبد الرازق الكاشاني(صـ٥١)، واتفق أهل السنة على أن أحدية الله أحدية واجبة كاملة، فالباري تعالى واحد من جميع الوجوه. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/لأبي البقاء الحنفي الكفوي (ت١٠٩٤هـ) (صـ٥٣) تحقيق: عدنان درويش–محمد المصري/ ط: مؤسسة الرسالة – بيروت. بدون

(٢) القُطْبُ: عبارة عن رجلٍ واحد هو موضع نظر الله–تعالى–من العالم في كل زمان، والواحد هو القطب. تفسير السلمي= حقائق التفسير/ أبو عبد الرحمن السلمي(ت٤١٢هـ) (جـ١/صـ١٧٩) تحقيق: سيد عمران/ط: دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، تفسير القشيري(جـ١/صـ١٣٢).

(٣) الفتوة السلمي (ت٤١٢هـ)(صـ٥)، والفتوحات المكية لابن عربي (جـ١/صـ٣٦٨).

(٤) كتاب الفُتُوَّة لابن المعمار البغدادي الحنبلي (صـ ١٤٠)

(٥) سبق تخريجه.

المهول.[١] ثم تتابع الفُتُوَّة في صحابته، ومنها فتوَّة سيدنا عليٍّ كرّم الله وجهه، فجاد بنفسه على فراش النبيِّ صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة. فسماه النبي صلى الله عليه وسلم بالفتى فقال: «لَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ»[٢]

المطلب الثاني: شروط الفُتُوّة

يشترط لابتداء صحة الاتصاف بالفُتُوَّة شروط، فلا يصح لمن فاته شرط واحد منها أن يتصف ببداية الفتوة، فيجب اجتماعها في العبد ليبدأ أول درجة من درجات الفتوة، أما ماعدا هذه الصفات والشروط وزاد عليها، من إعانة الاخوان، وصلة الأرحام، وبث الإحسان، وغير ذلك، فهي نهاية الآمال الموصلة إلى الفردوس في دار السلام، وهذه الشروط هي: الدين، والعقل، والبلوغ، واستقامة الحال، والمروءة.[٣]

الشرط الأول: الدين، فيشترط في صاحب مقام الفتوة أن يكون من المسلمين؛ لأن الدين هو الأصل والفتوة فرع عنه، ولا فتوة لمن لا دين له، فالفتوة خصلة من خصال الدين، ومن ارتد بطلت فتوته، فلو عاد جدد العهد معه. أما اليهود والنصارى فلا تصح فتوتهم؛ لضياع الأصل وهو الدين، ولكن يجوز شدهم ليخالطوا ويطالعوا محاسن الفتيان؛ رجاء أن يدخلوا الإسلام، فيعاملوا كالمؤلفة قلوبهم، وأما المجوس ومن لا شريعة لهم فلا تصح فتوتهم ولا تبسط لهم المعاملة أصلًا. [٤]

---

(١) كتاب الفُتُوَّة لابن المعمار البغدادي الحنبلي (صـ ١٤٠)

(٢) سبق تخريجه في المقدمة.

(٣) يراجع في الشروط وشرحها ك/ الفُتُوَّة لابن المعمار البغدادي(صـ ١٦٣)وما بعدها.

(٤) الفُتُوَّة لابن المعمار البغدادي(صـ ١٦٧، ١٧٥).

الشرط الثاني: العقل؛ فهو طريق من طرق التهدي إلى الخير، وتميزه عن الشر والكف عنه، وإدراك بعض المعلومات، والآلة لنا في إتقان المصنوعات. ولو طرأ زوال العقل لم يقدح في فتوته ذلك، كما لا يقدح في إسلامه.

الشرط الثالث: البلوغ؛ لأنه مظنة الكمال في البنية والعقل والتصرف، ولهذا أسقط الشارع القلم في عدم وجوده، واختلف العلماء في صحة فتوة الصبي، فقال البعض بصحتها أخذًا بصحة إسلامه، ولا يلزمه من أحكام الفتوة إلا بحسب طاقته؛ تشبيهًا بأمرنا له بالصلاة لسبع، وضربه عليها لعشر. وقال البعض بعدم صحة فتوته قبل البلوغ.(١)

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن سيدنا علي بن أبي طالبτ لما نام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم وتسجى ببردته، كان بالغًا، وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة، فلا يُتوهم أنه كان صبيا؛ لما اشتهر أنه كان فتى صغير السن. (٢)

الشرط الرابع: استقامة الحال، بأن يكون على صفة مرضية، فلا يكون خنثى مثلا، ولا يتصف بصفة تلحق به وصمة في الدين.

الشرط الخامس: المروءة؛ لأنها الحاملة على المكارم، المجنبة للمحارم، ومن تركها لم يستحي من فعل القبائح، ومن لم يستحي من فعل القبائح لم يصلح للفتوة.(٣)

من تصح فتوته: تصح فتوة كل مسلم بالغ عاقل، حتى العبد غير الحر تصح فتوته؛ بناء على أن الفتوة صفة دينية محضة، فلا يشترط فيها انفصال ذمته المالية عن سيده، فكل من تنزه عن الأدناس وتحققت فيه الشروط السابقة

---

(١) الفُتُوَّة لابن المعمار البغدادي الحنبلي (صـ ١٦٥)

(٢). تاريخ الطبري= تاريخ الرسل والملوك/ محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)(جـ٢/ صـ٦٤١) وما بعدها/ ط:٢ / دار التراث – بيروت– ١٣٨٧هـ

(٣) الفُتُوّة لابن المعمار البغدادي الحنبلي (صـ ١٦٣، ١٦٨، ١٦٩).

تصح فتوته، ومن صح إسلامه صحت فتوته وقبلت توبته، ما لم تتخرم بضياع بعض ما سبق من الشروط.

من لا تصح فتوته: السكران، فمن شرب الخمر فلا تصح فتوته، والصبي غير المميز، والمكره، وقاطع الطريق، وخائف السبيل، ومن يجب عليه حد الحرابة، والمارق من الدين كالملاحدة والزنادقة. (١)

من تبطل فتوته: الفتوة إن كانت عهدًا على أصل الدين، فلا بطلان لها إلا بما يبطل الدين كالشرك بالله، وإن كانت الفتوة عهدًا على المحافظة على فضائل الدين، فالفتوة تبطل بكل كبيرة وبالإصرار على الصغيرة، فمن أشرك بالله تعالى بالشرك الأكبر فقد بطلت فتوته، وكذا من ارتكب كبيرة على خلاف بين العلماء في حد الكبيرة، أما الصغائر فينبغي الابتعاد عنها؛ فلربما استصغر العبد ذنبًا وهو عند الله عظيم. (٢)

المطلب الثالث: درجات الفُتُوَّة ومراتبها

الفُتُوَّة على ثلاث درجات: **الدرجة الأولى: ترك الخصومة، والتغافل عن الزلة، ونسيان الأذيَّة.**(٣) فالفتى لا يُخاصم أحدًا على حقه، ولا يخطر ببال الفتى أن له حقًا أصلًا، وإلا كان خصمًا، فلا تتحقق الفُتُوَّة. مع وجوب تغافله عن زلات الناس. ونسيان أي: نوع من أنواع الأذى منهم؛ لكي تصفو لهم الصحبة وتتحقق له الفُتُوَّة.

---

(١) الفُتُوّة لابن المعمار البغدادي الحنبلي (صـ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤).

(٢) الفُتُوّة لابن المعمار (صـ١٧٥) وما بعدها.

(٣) منازل السائرين بشرح القاشاني (صـ ٢٤٩)، بصائر ذوي التمييز (جـ٤/صـ١٧٣) .

والدرجة الثانية: أن تقرب من يقصيك، وتكرم من يؤذيك، وتعتذر إلى من يجني عليك – سماحًا لا كظمًا، وتوادًا لا مصابرةً [١]. فإذا كانت الدرجة الأولى ألا ترى لنفسك حقًا فقط، فالأعلى من ذلك أن ترى في إساءة الناس لك كسرًا لنفسك وإعانة لك عليها؛ لأن كل من يؤذيك موكلٌ عليك من ربك، فيجب عليك إكرامه، فلولا جنايتك على نفسك بالمعاصي لما سلط الله عليك من يؤذيك؛ فلذا وجب عليك أن تقرب من يسيء إليك، وتكرمه وتعتذر –لكونه الواسطة بينك وبين ربك فهو من أرسله–فأنت الجاني، وكل ذلك لا يكون صبرًا على تألم الباطن إخفاء للجزع، بل بمحبة وطيب نفس منك ظاهرًا وباطنًا، وتطلب مودة المسيء لك من الناس. ومن هنا عُرِّفت الفُتُوَّة بأنَّها "التِماس المَعاذِير عِند رؤية القَبيح إذا صدَر عن الغَير". [٢].

الدرجة الثالثة: ألا تتعلق في المسير بدليل، ولا تشوب إجابتك بعوض، ولا تقف في شهودك على رسم [٣]. فللوصول إلى أعلى درجات الفُتُوَّة يجب إضافة ثلاثة شروط أخرى على ما سبق. أولها ما يربط الفُتُوَّة بطريق المعرفة عند الصوفية وهو الكشف، فالتمسك بالدليل العقلي للوصول للمعرفة عندهم يمنع من الوصول إلى الله ومعرفته. فمن طلب الوصول إلى نور الحقيقة متمسكًا

---

(١) منازل السائرين بشرح القاشاني (صـ ٢٤٩)، بصائر ذوي التمييز (جـ٤/صـ١٧٣) .

(٢) الملامتيَّة والصوفيَّة وأهل الفُتُوَّة لأبي العلا عفيفي (صـ٤١)

(٣) الشّهود عند السّالكين هو: رؤية الحقّ بالحقّ، ويعني أنّ العبد تجاوز مراتب الكثرة الموهومة الصورية منها والمعنوية فوصل إلى مقام التوحيد العياني فلا يرى إلا بعين الحقّ، استنادا إلى الحديث المشهور (كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ،) البخاري في صحيحه (جـ٨/صـ١٠٥) حديث رقم: (٦٥٠٢) التعريفات/ الشريف الجرجاني(صـ١٢٩) ويراجع في النص : منازل السائرين بشرح القاشاني (صـ ٢٥١). وبصائر ذوي التمييز (جـ٤/صـ١٧٣) .

بالاستدلال العقلي لا يصح تسميته بالفُتُوَّة؛ "لأن الاستدلال بالأدلة العقلية مفرق للقلب غالبًا"، ولكن الذي يجمع القلب على الله هو نور الكشف الإلهي، فيجب التمسك به–وسيأتي مزيد بيان–. **والشرط الثاني** في أن يتجرد السالك عن كل عوض، ويجرد قصده لوجه الله تعالى فقط؛ فالفُتُوَّة تقتضي الحرية عن رق الكون. **والشرط الثالث:** ألا يقف السالك في شهوده للحقيقة على رسم، والرسم هو الخَلق –سواء كان هو أو غيره–فالسالك في شهوده للحقيقة، وفي طريق وصوله إليها لا ينبغي أن يقع نظره على الغير، فالشهود يمحق آثار الغير؛ وإلا لم يكن صحيحًا[(١)].

المطلب الرابع: الفتوة بين المقام والحال والخُلُق

المقام هو ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب بما يُتوصل إليه بنوع تصرُّف، ويتحقق به بضرب تطلُّب ومقاساة تكلُّف. كالتوبة، **وأما الحال،** فهو: معنى يرد على القلب من غير تعمُّد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم، كالحزن والشوق... والحال سمي حالاً لتحوّله وتغيره، والمقام مقاماً لثبوته واستقراره. فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود، وصاحب المقام مُمَكَّن في مقامه وصاحب الحال مُتَرَقّ عن حاله.[(٢)] **والمراد بالمقام** التمكن والتحقق من كل أدب ومنزل ينزله المريد في طريق السلوك إلى الله جل وعز، "فإن لم يستوف حقوق ما هو فيه من المنازل؛ لم يصح له

---

(١) شرح عفيف الدين ابن التلمساني(ت٦٩٠هـ)لمنازل السائرين للهروي(ت٤٨١هـ) (جـ١/ صـ٢٧٢) إعداد عبد الحفيظ منصور، ط:دار التركي بتونس ١٩٨٩م .

(٢) الرسالة القشيرية(جـ١/ صـ١٥٣، ١٥٤)، التعريفات الجرجاني(صـ٢٢٧).

الترقي إلى ما فوقه، والمراد تمكنه على المقام بالتثبت فيه بحيث لا يُحَوَّل فيكون حالاً، فإنه إنما يسمى مقاماً لإقامة السالك فيه. (١)

وأول المقامات الانتباه بخروج العبد من حدِّ الغفلة، ثم التوبة، ثم الورع.(٢)

الحال والمقام متقاربان بالمفهوم والتغاير بينهما بالاعتبار، لأن الشيء بعينه قد يكون حالاً ثم يصير مقاماً، كأن ينبعث من داخل العبد داعية المحاسبة، ثم تزول هذه الداعية بغلبة صفات النفس عليها، ثم تعود ثم تزول، ثم يحوّل الحال بظهور صفات النفس إلى أن تتداركه المعونة من الباري تعالى فتنضبط النفس وتتملكها المحاسبة، فتصير المحاسبة مستقره ومقامه بعد أن كانت حاله، ثم ينازله حال المراقبة، فإذا كانت المحاسبة مقامه يصبح له من المراقبة حال، ثم يحوّل حال المراقبة بسبب تناوب السهو والغفلة في باطن العبد إلى أن ينخلع ضباب الغفلة ويتدارك الله تعالى عبده بالمعونة، فتصير المراقبة مقاماً بعدما كانت حالاً،.....وهكذا(٣). فالظاهر أنهما متساويان ماصدقًا؛ فيصدقان على شيء واحد في الخارج؛ لأن وجه التسمية لا يكون داخلًا في مفهوم اللفظ حتى يحكم بتعدد المفهوم بالاعتبار. وعليه تكون الأحوال هي المواهب الفائضة على العبد من ربه،

---

(١) معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (صـ١٠٧).

(٢) أول المقامات الانتباه، كما ذكر الشيخ أبو النجيب السهروردي في آداب المريدين، وأما صاحب اللمع فذكر أن أول المقامات التوبة، والإمام القشيري في الرسالة القشيرية يجعل التوبة أول وأصل كل مقام ويجعل الانتباه من أسباب التوبة، فيقول: إن للتوبة أسباباً وترتيباً وأقساماً، فأول ذلك انتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة. آداب المريدين لأبي النجيب السهروردي عبد القاهر بن عبد الله البكري(ت٥٦٣هـ) (صـ٢٣) تحقيق: عاصم الكيالي ط١: الكتب العلمية ٢٠٠٥م. وقارن: اللمع للسراج الطوسي (صـ٤٥)، الرسالة القشيرية (جـ١/صـ٢٠٨).

(٣) عوارف المعارف شهاب الدين السهروردي(صـ٤٣٩)، إحكام الدلالة(جـ١/صـ٢٥٥، ٢٥٦).

وهي إمّا واردة عليه ميراثًا للعمل الصالح المزكّي للنفس المصفّي للقلب، وإمّا نازلة من الحق تعالى امتنانًا محضًا(١).   **أما الخلق**(٢) فهو: عبارة عن هيئة راسخة للنفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فخرج الصبر؛ لأنه بصُعوبة، والفكرة؛ لأنها تكون بروية، فالهيئة حين تصدر عنها الفعل الجميل عقلًا وشرعًا بسهولة، سميت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقًا سيئًا، فههنا أربعة أمور: أحدها: فعل الجميل والقبيح، والثاني: القدرة عليهما، والثالث: المعرفة بهما، والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح(٣) ، **ويشترط لحصول الحسن في الخلق أربعة** شروط أخرى هي قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث. وإن كانت الفضيلة تارة تحصل بالطبع وطوراً بالاعتياد، ومرة بالتعلم. (٤)

ومما سبق يمكن وضع الخلاصة في الأخلاق والمقامات والأحوال

---

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم/ محمد بن علي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) (جـ١/صـ٦١٧) تقديم ومراجعة: د. رفيق العجم/ تحقيق: د. علي دحروج/ نقله للعربية: د. عبد الله الخالدي/ الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني/ ط:١/ ناشرون – بيروت– ١٩٩٦م.

(٢) الخُلُق لغة: الطبع والسجية، يزيد هو بالتغيير فقط. لسان العرب (جـ١٠/صـ٨٦)

(٣) إحياء علوم الدين/ أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)(جـ٣/صـ٥٣)ط: دار المعرفة – بيروت، و البحر المديد في تفسير القرآن المجيد /أبو العباس أحمد ابن عجيبة الحسني الفاسي (ت١٢٢٤هـ) (جـ٧/صـ١٠٦)تحقيق: أحمد عبد الله القرشي/ ط: د/ حسن عباس زكي/ القاهرة ١٤١٩هـ.

(٤) ميزان العمل/ أبو حامد الغزالي (صـ٢٥٨) حققه: د/ سليمان دنيا/ط:١/دار المعارف، مصر ١٩٦٤م، إحياء علوم الدين له أيضا (جـ٣/صـ٥٤).

الأخلاق: هي الصفات والسلوكيات الإنسانية حسنة أو قبيحة، وتصدر عن ملكة راسخة في النفس بدون فكر ولا روية، وتتكون بالتدريب والتهذيب والتربية. وللصوفي هي مقاييس الفضائل التي يجب عليه أن يتحلى بها. **ووظيفتها:** أن الإنسان يتعلمها ويكتسبها ويطورها في نفسه، كالحلم. **ومن خصائصها:** اعتمادها على الإرادة الشخصية والجهد المبذول لتهذيب النفس، فالأخلاق ثابتة ومكتسبة بالجهد.

والمقامات: يمكن تعريفها بأنها: الدرجات والمنازل الروحية التي يتدرج فيها المريد في سيره إلى الله، فهي مراحل ثابتة ومتعاقبة ومستمرة في السلوك الصوفي. كل مقام يمثّل عمق التطور الروحي للصوفي، **وللسالك فيها وظائف منها:** أنه يُطالب بجهود معينة متتابعة للانتقال من مقام إلى آخر، كمقام التوبة. **ومن خصائصها:** أن المريد يتدرج فيها بصورة تراكمية ومتتابعة، فلا يتجاوز السالك مقامًا إلا بعد التمكن والإحكام والإتقان للمقام الذي يسبقه. فالمقامات **درجات ومنازل ثابتة** في طريق التربية الصوفية.

والأحوال: يمكن تعريفها بأنها مشاعر روحية ومواجيد داخلية تتنزل على قلب المريد من الباري تعالى بصورة غير ثابتة. تتفاوت من وقت لآخر. **ولا وظيفة للسالك في الحصول عليها؛** لأنها تأتي بصورة مؤقتة، كحال الحب، والخوف. **ومن أخص خصائصها:** أنها مواهب من الله، قد تأتي وقد تذهب من غير تحكم للمريد فيها، فهي لا تعتمد على جهده. فالأحوال مشاعر وتجليات مؤقتة ليست مستقرة.

ولما نظر بعض السادة الصوفية إلى كون الأخلاق من أسس التصوف وغايته، وثمرته الملازمة له **جعلوا الفتوة من باب الأخلاق، وليست من المقامات**، فقالوا:

"**والفتوة عند الصوفية من باب الأخلاق وليست من باب الأحوال والمقامات**"[1].

ويؤيده قول الكركي(ت٩١٢هـ) في نور حدقه: "والأخلاق ثلاثة: خلق متعد، وخلق غير متعد، وخلق مشترك، **فالأول: كالفتوة**،... والثاني: كالحياء،... والثالث: كالمحبة"[2].

ولكن الكثير من الناس اتصفوا بأروع الصفات الأخلاقية، واتخذوا الفضيلة مذهبًا، فأصبحوا أشخاصًا مثاليين في المحيط الأخلاقي وفي مجتمعاتهم، لكن ذلك لا يعني أنهم لا محالة صوفية، فسقراط (ت٣٩٩ ق.م) تمذهب بالفضيلة، وحاول نشرها بشتى الطرق والوسائل، بالأسوة الكريمة، أو بالإقناع، أو بالمنطق الجدلي، لكنه **لم يكن صوفيًا بالمعنى الدقيق للكلمة**. وهذا الحسن البصري(ت١١٠هـ) من أروع وأفضل المطبقين للشعور الأخلاقي في طهره وصفائه، ينشر الفضيلة بسلوكه المثالي، ووعظه ومنطقه القوي، بل ولقب بسيد الفتيان كما مر، ومع ذلك «**لم يكن الحسن البصري صوفيًا بالمعنى الدقيق لكلمة صوفي**»[3]؛-فالمعرفة عنده تغاير الصوفية-، والأخلاق الكريمة العالية من أسس التصوف الإسلامي، بل هي شعار الصوفي، وثمرته التي يريد الوصول إليها، وما بين الأساس والثمرة تلازم الأخلاق الصوفي ملازمة تامة، لا تتخلى عنه ولا يتخلى عنها، لكن ليس معنى ذلك أن الأخلاق الكريمة هي التصوف.[4]

---

(١) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة/ مفهوم الفتوة للإمام الأكبر أ. د/ أحمد الطيب (جـ١/صـ٤٩٢)

(٢) نور الحدق في لبس الخرق لجلال الدين بن محمد، خير الدين الكركي(ت٩١٢هـ) (صـ١١٤) تحقيق: د/ تامر عزت عبد الغفار، رسالة ماجيستر بكلية أصول الدين بالقاهرة.

(٣)قضية التصوف وتحقيق المنقذ من الضلال للإمام الأكبر أ. د/ /عبد الحليم محمود (صـ٣٩) ط:٥/ دار المعارف. بدون.

(٤) قضية التصوف الإمام الأكبر عبد الحليم محمود (صـ٤٠)

وعليه فمصطلح الفتوة بمعناه الصوفي يمكن أن يدخل تحت المقامات والدرجات والمنازل الروحية التي يتدرج ويترقى فيها المريد في سيره إلى الله تعالى لأمور منها:

١-لتختص الفتوة بالصوفي وتعبر عنه دون غيره، ولتعبر أيضا عن ذاتها أي: عن الفتوة الصوفية المغايرة للفتوة العربية والجاهلية...... **فالأخلاق طريق فقط للوصول للفتوة الصوفية**، وعند وصول قلب المريد للفتوة يصل لزيادة الهدى في الإيمان، ومن هنا صرح الكاشاني **(ت٧٣٥هـ)** في شرحه على منازل السائرين بأن الفتوة مقام، **فقال:** "**الفتوة اسم لمقام القلب الصافي**، وذلك الصفا هو زيادة الهدى بعد الإيمان". (١)

٢- **حقيقة الفُتُوَّة عند الصوفية** ترتبط بالمعرفة برباط وثيق، وهو ما صرح به ابن عربي قائلًا: "**فحقيقة الفُتُوَّة هي:** أن يؤثر العبد كل ما جاء به الرسل على هوى نفسه، وعلى أدلة عقله، وعلى ما حكم به فكره ونظره إذا خالف ما جاءت به الرسل. هذا هو الفتى".(٢)

٣- سبب التسمية بالفتية في القرآن عند الصوفية هو الإيمان بالله تعالى بلا دليل.(٣)، وهذا مما لا يمكن الوصول إليه بالاكتساب، فالمقام وإن كان مما يحصل بالاكتساب كالفتوة بالأخلاق، **إلا أن تمايز الفتوة الصوفية هو بمجموع الخلق والمعرفة الإلهامية**، وسيأتي بيانه، **ويمكن أن يكون ما سبق وغيره هو الدافع لابن عربي (**ت٦٣٨هـ**)** للتصريح بأن **الفتوة من المقامات** فيقول: "وللفتوة مقام القوة، .... فهذه الفتوة ومقامها، ... وقد أفردنا لها بابًا حين تكلمنا على المقامات."(٤) **وتبعه الكاشاني كما تقدم.**

---

(١) شرح منازل السائرين الكاشاني (صـ ٢٤٨) .

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي(ت٦٣٨هـ) (جـ٣/صـ٣٥٢) .

(٣) الفتوة السلمي (صـ٥)، إحكام الدلالة على الرسالة القشيرية للأنصاري (جـ٢/صـ٦٧٠).

(٤) الفتوحات المكية لابن عربي(ت٦٣٨هـ) (جـ١/صـ٣٦٥).

المبحث الثاني

الفُتُوَّة والإيمان باللّه تعالى وذكره

المطلب الأول الفُتُوَّة والإيمان باللّه تعالى

أول قدم في الإيمان الفتوة: أول مراتب الإيمان الفُتُوَّة؛ لأن إيمان الصوفي يرجع إلى ذوقه، وما يجده عند وجدان أمر ربه؛ فيؤمن بالله بطريق الإلهام والبصيرة–على ما سيأتي بيانه–، وذلك لأن الإيمان عند الصوفية سكينة تنزل على القلب تجعل النفس تلتزم بالأوامر الإلهية، وتنتهي عن نواهيه، هذه السكينة التي تنزل على القلب أول مراتب الإيمان، قال أبو عبدالرحمن السلمي: "الإيمان: سكينة القلب لوجود أمر الرب الباعث لاستعمال النفس في الأعمال الصالحة والأخلاق الراجحة؛ قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَنًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح/٤]. [١]

---

(١) تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ) لأبي عبد الله البكي الكومي (ت٩١٦هـ) (صـ٨٤، ٨٥) تحقيق: نزار حمادي، ط/ مؤسسة العارف للطباعة–بيروت لبنان.

قال أبو بكر الورَّاق(ت٢٤٠هـ): "**أول قدم في الإيمان الفُتُوَّة** وهي: ألا يجري عليك التلوين[١] لما يرد".[٢] فالفتى المؤمن لا يُحجب عن هذا الوارد الإلهي بحاجب الأدلة العقلية؛ لأنه يعتمد في إيمانه على الإلهام–وسيأتي بيانه–، فلا يصل إلى الفتوة إلا بشرط عدم جريان التلوين عليه، بألا يجري عليه الاحتجاب عن إحكام حال أو مقام بحال أو مقام أقل منه، فالتلوين يشير إلى أحوال أهل البداية –من أصحاب الاستدلال العقلي والشرعي–، والتمكين يشير إلى رسوخ الأقدام في مقامات الولاية، وذلك بأن تصدق الأركان والجوارح ما أقر به اللسان؛ لأن الإيمان الكامل–وليس الإيمان المنجي من الخلود في النار–"هو: التصديقُ بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان"[٣]. والمراد بذلك: أن الأعمال شرط في كماله، ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقصان"[٤]. فلا تخالف جوارح

---

(١) والتلوين والتمكين لفظان اصطلاحيان: التلوين صفة أرباب الأحوال والتمكين صفة أهل الحقائق، فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين؛ لأنه يرتقى من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، وهو أبدا في الزيادة. أما صاحب التمكين فوصل ثم اتصل، وأمارة أنه اتصل: أنه بالكلية عن كليته بطل. فصاحب التلوين بين الزيادة والنقصان، إلى أن تطلع عليه شمس العرفان، فإذا طلعت شمس العرفان فليس بعدها زيادة ولا نقصان. والمراد بالتلوين هنا: الاحتجاب عن أحكام حال أو مقام سني بآثار حال أو مقام دني، وعدمه على التعاقب. الرسالة القشيرية(جـ١/صـ١٨٩)، معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني(صـ١٧٤)، و البحر المديد/لابن عجيبة (جـ١/صـ٢٢٠).

(٢) تفسير السلمي = حقائق التفسير/ لأبي عبد الرحمن السلمي(جـ١/صـ٤٠٣).

(٣)تأويلات أهل السنة للإمام الماتريدي(جـ٥/صـ٣٢٠)، شرح المقاصد للتفتازاني (جـ٥/ صـ١٨٠). فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني(جـ١/ صـ٦١، ٦٢).رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي/ قام بإخراجه: محب الدين الخطيب/ الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٤) فتح الباري لابن حجر (جـ١/صـ٦١) وقارن: تأويلات أهل السنة للماتريدي(جـ٥/صـ٣٢٠).

الإنسان الظاهرة باطنه، وتصديقه بقلبه، ولا يخالف تصديق القلب عمل اللسان- بالإقرار -وغيره.

تعريف الإيمان بين المتكلمين والصوفية

الإيمان يقال لغة ويقال شرعًا، والخلاصة أن: الإيمان لغة: قد يطلق ويراد به التصديق والاعتراف، ويتعدى بالباء قال تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) [البقرة/٢٨٥]، و قد يطلق ويراد به الإذعان والانقياد، هذا الانقياد هو معنى التسليم الباطني(١) ويتعدى باللام؛ {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ } [العنكبوت/ ٢٦] والإيمان مشتق من الأمن، وكأنّ آمن به بمعنى: أمنه من التكذيب والإنكار عليه.(٢)

ولما كان الإيمان في اللغة بمعنى التصديق، فكذلك يكون في الشرع بمعنى التصديق، إلا أنه تصديق بأمور مخصوصة، وهي الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، وبناء عليه يكون تعريف الإيمان المنجي في الآخرة شرعًا – وليس الإيمان الكامل-: هو تصديق القلب -وحده- للرسول صلى الله عليه وسلم فيما علم مجيئه به بالضرورة، إجمالاً فيما علم إجمالاً، وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، تصديقًا جازمًا مطلقًا، "ففيه: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر"(٣). **والإيمان الشرعي الكامل** يطلق على المجموع: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، كما في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ-شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،

---

(١) شرح العقائد العضدية (صـ ١٤٢). شرح الفقه الأكبر للقاري (صـ ٣٨٨).

(٢)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ لأبي نصر الجوهري (جـ٥/ صـ٢٠٧١)، لسان العرب لابن منظور (جـ١٣/صـ٢١) وما بعدها.

(٣) شرح العقائد النسفية مع حاشية العصام (صـ ١٢٥، ١٢٦). هداية المريد للقاني (جـ١/ صـ٢٥٧). حاشية المرجاني على شرح العقائد العضدية -بهامش حاشية الكلنبوي- (جـ٢/صـ ٢٨٨).

وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[1] فالإيمان الكامل يحمل صاحبه على فعل الأوامر واجتناب النواهي، كأن الأعمال من أجزائه التي لا تنفك، ليس لأنها داخلة في حقيقة الإيمان الشرعي الذي عليه مدار النجاة في الأخرة.

الخلاف في مقالة أهل السنة في تعريف الإيمان شرعاً: لما كانت الفُتُوَّة كما نقلها أبو عبد الرحمن السلمي عن محمد بن علي الترمذي (**٣٢٠ هـ**) قائلا: "**الفتوة تصديق اللسان فيما وعد وأوعد، وهو الإيمان على الحقيقة**"[2] لزم بيان معنى الإيمان، **فثمت خلاف في هل الإيمان الشرعي** هو هذا الأمر القلبي المعبر عنه بالإذعان والتصديق فقط، ويكون النطق بموافقته شرطًا في إجراء الأحكام عليه؟ وهذا اختيار الأشعري ومتابعيه، أو هو الأمر القلبي المقترن بالنطق بحيث يكون الإيمان مركبًا منهما؟ وهو قول أبو حنيفة ومتابعيه، أو هو هذا المركب مع العمل بالجوارح، فمجموعه الثلاث، وإن لم يعمل لم يسلب عنه الإيمان؟ وهو قول المحدثين، وهو مشكل؛ للزوم نفي حقيقة الإيمان عند نفي جزئها، إلا أن يُتَأول بالإيمان الكامل، لا بمطلق الإيمان. [3]

فـ "الفُتُوَّة **تصديق اللسان فيما وعد وأوعد، وهو الإيمان على الحقيقة أن لا يخالف ظاهرك وباطنك، ولا باطنك ظاهرك**[4]. فتصديق اللسان فيما وعد وأوعد: يعني بالإقرار بالشهادتين، فـ"الحق جل وعز مسمى بأسمائه الحسنى، ولا بد في

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه/ باب شعب الإيمان برقم(٣٥) (جـ١/صـ٦٣).

(٢) تفسير السلمي = حقائق التفسير/ لأبي عبد الرحمن السلمي(جـ١/صـ٤٠٣).

(٣) تلخيص الأدلة للزاهد الصفار (جـ٢/صـ٧٠٠: ٧٠٦)، القول السديد في علم التوحيد الشيخ محمود أبي دقيقة، مع تعليق الدكتور عوض الله حجازي(جـ٢/صـ٢٤٠) ط/ مطابع الأزهر (١٤٣٨هـ).

(٤) تفسير السلمي = حقائق التفسير/ لأبي عبد الرحمن السلمي(جـ١/صـ٤٠٣).

الإيمان من شيئين شيء يتعلق بالمسمى -وهو الله تعالى-: وهو الأمر القلبي التصديق، وشيء يتعلق بالاسم -لفظ الجلالة-: وهو اللساني بالإقرار"(١)، ويتبع عمل اللسان عمل الجوارح، فيصل العبد إلى الإيمان على الحقيقة بألا يخالف ظاهر العبد باطنه، ولا باطن العبد ظاهره. **فالمعرفة القلبية فقط لا تنفع عند الصوفية؛ وترك الإقرار بالشهادتين** -سواء تعلق اسم الإله فيها بالمسمى أو بالاسم كما مر- **ليس بإيمان عندهم**؛ ومن هنا قالوا: **الفُتُوَّة تصديق اللسان فيما وعد وأوعد**، وهو الإيمان على الحقيقة بألا يخالف ظاهرك وباطنك، ولا باطنك ظاهرك".(٢)

وعند الصوفية كمال الإيمان يكون بالتصديق بالجنان، والعمل بالأركان، والإقرار باللسان، ومن ترك التصديق فهو كافر عند الله وعندنا، ومن ترك الإقرار فإسلام باستسلام من غير إيمان، فالمعرفة بالقلب لا تنفع ما لم يتكلم بالشهادتين، إلا أن يكون له عذر يثبت بالشرع.(٣) وهذا ما يقرره الجنيد(ت٢٩٨هـ) فيقول: "التوحيد علمُك: تصديقك، وإقرارك: نطقك بأن الله فردٌ"(٤)، وهو ما قرره الكلاباذي (ت٣٨٠هـ) أيضًا، من أن الإيمان تصديق مصاحب للإقرار باللسان، فقال: "الْإِيمَان **عِنْد الْجُمْهُور مِنْهُم**-الصوفية-، قَول وَعمل وَنِيَّة، وَمعنى النِّيَّة التَّصْدِيق، ... ومن طَرِيق جَعْفَر -الصادق- قَالَ: الْإِيمَان إِقْرَار بِاللِّسَانِ وتصديق بِالْقَلْبِ وَعمل بالأركان، **وقَالُوا أصل الْإِيمَان: إِقْرَار اللِّسَان بِتَصْدِيق الْقلب،**

---

(١) تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب/ البكي الكومي (صـ٨٤، ٨٥).

(٢) تفسير السلمي = حقائق التفسير/ لأبي عبد الرحمن السلمي(جـ١/صـ٤٠٣).

(٣) تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب/ البكي الكومي (صـ٤٢٣).

(٤) إحكام الدلالة لزكريا الأنصاري على شرح الرسالة القشيرية(جـ١/صـ٤٩)

وفروعه الْعَمَل بالفرائض".[1] ويتابعهم ابن عجيبة (ت١٢٢٤هـ) قائلا: "الإيمان هو **التصديق بالقلب مع الإذعان به**، ...فهو يدل على أنَّ مجرد النطق بالشهادتين **ليس بإيمان**، فتحصَّل أن ما يكون من الإقرار باللسان من غير **مواطأة للقلب فهو إسلام، وما واطأ فيه القلبُ اللسانَ فهو إيمان**، وهذا من حيث اللغة، وأما في الشرع فهما **متلازمان، فلا إسلام إلا بعد إيمان، ولا إيمان إلا بعد النطق بالشهادة إلا لعذر**.[2]

ويتضح مما سبق أن **الإيمان عند أكثر الصوفية** تصديق وإقرار، وأن الإقرار جزء من حقيقة الإيمان، حتى قال أبو النجيب السهروردي(ت٥٦٣هـ): "وأجمعوا –الصوفية–على أن كمال الإيمان يكون بالإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان، **من ترك الإقرار فهو كافر**"[3].

وهذا الأخير هو ما رفضه جمهور أهل السنة من المتكلمين، فالإيمان عند جمهور المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية هو: التصديق وحده، والإقرار هو شرط إجراء أحكام الإسلام، لا ركن منه. فيقرّره الإمام الماتريدي قائلًا: إن "الإيمان هو التصديق الفرد لا غير"، ووافقه الأشعري، وتابعهما الأشاعرة والماتريدية.[4]

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف/ لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي الحنفي (ت٣٨٠هـ) (صـ٨٠) دار الكتب العلمية/بيروت.

(٢) البحر المديد لأحمد ابن عجيبة (صـ٧/صـ٢٥٥).

(٣) آداب المريدين لأبي النجيب السهروردي عبد القاهر بن عبد الله البكري(ت٥٦٣هـ) (صـ١١)، تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب/ البكي الكومي (صـ٤٢٣).

(٤) تأويلات أهل السنة= تفسير الماتريدي(جـ٢/صـ١٠٦، ٢٧٢). تفسير آية(٢٧)الأنعام، وآية(١٢٣) الأعراف، اللمع للأشعري (صـ ١٣٠). مجرد مقالات الأشعري لابن فورك (صـ ١٥٣). الإنصاف للباقلاني (صـ٥٢). تبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي(جـ٢/صـ ١٠٧٥، ١٠٧٧).تحقيق أ.د: محمد الأنور، ط١/ المكتبة الأزهرية للتراث(٢٠١١)م، القول السديد لأبي دقيقة (جـ٢/صـ٢٤٠).

ويجمع لنا هذا الخلاف شارحُ تعديل علومه فيقول: "ولا خلاف بين أهل السنة جميعًا أن الإيمان المنجي من الخلود في النار هو التصديق والإقرار، لكن التصديق المجرّد فيه خلاف، فعند بعض مشايخنا: منجٍ، وعند البعض لا، لكن لا خلاف بين أهل السنة أن من صدّق، وأقرّ في عمره مرّةً فهو ناجٍ عن الخلود في النار." (١)

والسؤال الذي يُلقي بظلاله، ويتبادر مسرعًا إلى الأذهان هو: **لماذا يشترط الصوفية الإقرار؟** والجواب يظهر واضحا جليًا في تطبيقهم العملي لأعالي المقامات والأخلاق كالفتوة، والذكر، بل وبالتطبيق العملي لكلام سيد الأولين والأخرين، وخير الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم«أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»(٢) وسيتضح هذا جيدا في الحديث عن الذكر.

ويعطينا الكلاباذي جوابًا يربط الذكر بالإيمان برباط وثيق **تقدمت الإشارة إليه**، فيقول: "الْإِيمَان فِي الظَّاهِر وَالْبَاطِن شيء وَاحِد،.... وَأَجْمعُوا –الصوفية– أَن وجوب الْإِيمَان ظَاهرًا كوجوبه بَاطِنًا، وَهُوَ الْإِقْرَار، غير أَنه –الإقرار– قسط جُزْء من أَجزَاء الظَّاهِر دون جَمِيعه".(٣) فهو يربط ظاهر الإيمان بباطنه، فالباطن

(١) شرح تعديل العلوم لصدر الشريعة الثاني عبيد الله بن مسعود المحبوبي(ت٧٤٧هـ)(صـ ٤٢٣) التعديل الثالث، تحقيق: أ. د/ مصطفى آي، مصطفى برص بوغا/ ط:١/ رئاسة الشئون الدينية– أنقرة ٢٠٢١م.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه برقم(١٨٣٤، ١٨٥٢) كتاب الدعاء والتكبير والتهليل، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت٤٠٥هـ) (جـ١/صـ٦٧٨، ٦٨١).تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ ط:١/ دار الكتب العلمية – بيروت– ١٩٩٠م.

(٣)التعرف لمذهب أهل التصوف/ الكلاباذي الحنفي (ت٣٨٠هـ) (صـ٨٠) .

جزؤه الإقرار؛ لأن "**أصل الْإِيمَان إِقْرَار اللِّسَان بِتَصْدِيق الْقلب**"[1]، ووجوب الظاهر وهو الإقرار والذكر لاسم الله تعالى باللسان في الشهادتين حكمه حكم التصديق القلبي الباطني في الوجوب؛ بناء على أنه "**لابد في الإيمان من شيء يتعلق بالمسمى وشيء يتعلق بالاسم**"[2] كما مر.

فالفُتُوَّة عند الصوفية ترتبط بالإيمان برباط وثيق فهي التطبيق العملي بالأخلاق للتصديق القلبي الذي هو الإيمان. فيكون معنى الفتوة الإيمان الكامل بالأصول والعقائد، والفروع والشرائع، مع عدم مزاحمة الخلائق على شيء يحبونه، فلو تورع عن الدنيا وزهد فيها فلا خصومة عنده لأحد. ويعبر الصوفية عن ذلك بقول الكاشاني:"**وصورة صاحب الفُتُوَّة في البدايات: الوفاء بعهد الإيمان، وعقود الإسلام، وترك الخصومة مع الأنام**".[3]

أول واجب على المكلف بين الأشاعرة والصوفية

أهل السنة الأشاعرة قالوا بالوجوب الشرعي على المكلف بتحصيل العلم بوحدانية الله تعالى وصفاته؛ لقوله تعالى{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء/١٥]، فلو كان الوجوب بالعقل لما وقف التعذيب على بعثة الرسل. **واختلف المتكلمون في أول** واجب ما هو؟ فمنهم من قال: أول واجب المعرفة، ومنهم من قال: أول واجب النظر، ومنهم من قال: أول واجب أول جزء منه، ومنهم من قال: أول واجب القصد إليه.[4]

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف/ لأبي بكر الكلاباذي الحنفي (صـ٨٠).

(٢) تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب/ البكي الكومي (صـ٨٤، ٨٥).

(٣) معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (صـ٢٦١) .

(٤) مجرد مقالات الأشعري لابن فورك(صـ ٣٠، ٢٥٩). الإنصاف للباقلاني (ص١٣، ٢١). المجموع في المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار –جمع الحسن بن متويه– (جـ١/ صـ ١٧:

وعند **التحقيق يظهر أن الخلاف بينهم لفظي**، بناء على ما هو المعتبر في الأول قصداً أو وسيلة قريباً. **والحق** أن أول واجب قصداً المعرفة، ووسيلة قريبًا: النظر، ووسيلة بعيداً: القصدُ، وتوسُّطًا أول جزء. أما إن أول واجب قصداً هو المعرفة فلقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذَّارِيَاتُ: ٥٦]، قال ابن عباس: إلا ليعرفون، وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا} (الطلاق/ ١٢)، وأما أن النظر وسيلة قريبة فبالوجدان وكذلك أول جزء، وكذلك القصد، والدليل على وجوبها جملة ما تقرر في الأصول أن ما لا يتم الواجب المطلق إلا به –مقدوراً مطلقاً، أو شرطاً شرعياً– فهو واجب. (١)

وأما الصوفية: فيقولون بقول الأشاعرة من حيث بداية الصوفي العامة، وأما من حيث بدايته الخاصة التي هي أول مرتبته: " فالصوفي يقول: أولُ واجبٍ الإيمان، والإيمان: سكينةُ القلب لخطاب الرب، ثم إرسال الجوارح للخدمة شكراً للنعمة، وتحصيل الإيمان **يكون بحصول اليقظة**، إما عن زاجرٍ مُخرجٍ(٢)، أو جاذبٍ مُزعِجٍ، قال تعالى: { أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ} [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ} [الزمر: ٢٢] ثم عند تمام هذا الإيمان يظفرُ بروح اليقين، وقرار العين برفع الحجاب ومحو البَيْن المعبر عنه في اصطلاحهم بمقام قاب قوسين. وهذا المقام

---

٢٣)، تحقيق الأب: جين يوسف، ط/ المطبعة الكاثوليكية، بيروت لبنان/ بدون. الأبكار للآمدي (جـ١/ صـ١٧٠). شرح المواقف (جـ١/صـ ٢٥٦، ٢٨٢).

(١) الأبكار للآمدي (جـ١/صـ ١٧١). إشارات المرام للبياضي(ت١٠٩٨هـ)(صـ ٦٦).

(٢) الزاجر هو: واعظ الله في قلب المؤمن، وهو النور المقذوف فيه، الداعي له إلى الحق. فهو الداعي إلى الله. والجاذب: شواهد يلبسها الحق لأهل الإخلاص، يجذب في النفوس إليها جاذب القبول. التعرف لمذهب أهل التصوف الكلاباذي(صـ١٩) التعريفات للجرجاني(صـ١١٤)

لا يحصل عن الكسب والتعليم الإنساني، وإنما يحصل من موهبة الرب سبحانه والتعليم الإلهي. (١) فالصوفي في البداية أشعري، وفي النهاية صاحب إلهام ولطائف. ولتوضيح ذلك يقال:

طريق المعرفة والإيمان بالله تعالى في الفُتُوَّة

حقيقة الفُتُوَّة عند الصوفية في جانب الأصول والإيمان بالعقائد لخصها ابن عربي في فتوحاته قائلًا: " فحقيقة الفُتُوَّة هي: أن **يؤثر العبد كل ما جاء به الرسل على هوى نفسه، وعلى أدلة عقله، وعلى ما حكم به فكره ونظره إذا خالف ما جاءت به الرسل. هذا هو الفتى**".(٢)

فكلمة الفُتُوَّة في القرآن الكريم سُمي بها المؤمن الذي يؤمن بالله بطريق الإلهام والبصيرة(٣) بلا وساطة ولا استدلال بأدلة، فمن ءامن بالله تعالى بلا واسطة سمي فتى، قال سهل التُستري (ت٢٨٣هـ)، في تفسير قوله تعالى: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}الكهف/ ١٣: "زدناهم هدى: **بصيرة في الإيمان**، وسماهم الله فتية؛ **لأنهم آمنوا بالله بلا وساطة**، وقاموا إلى الله بإسقاط العلائق عنهم، بل آمنوا به له، **فأكرموا بزيادة هدى**"(٤)، فطريق البصيرة والإلهام يورث المريد زيادة إيمان، فيكرمه الله بزيادة هدى وإتقان للإيمان.

---

(١) تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ) البكي الكومي (ت٩١٦هـ) (صـ٦٥، ٦٦) إشارات المرام للبياضي(ت١٠٩٨هـ)(صـ ٦٦).

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي(ت٦٣٨هـ) (جـ٣/صـ٣٥٢) .

(٣) والبصيرةُ: نورٌ يقذفه الله في قَلْب العبد فيَرى به حقيقة ما أَخبرتْ به الرُّسُل كأَنَّه يشاهد رَأْيَ عَيْنٍ، فيتحَقَّق له الانْتِفاعُ بما دَعَتْ إليه الرّسل وتَضرُّره بمُخالَفَتهم. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (صـ٢٨٩).

(٤) تفسير السلمي = حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي (جـ١/صـ٤٠٣).

وسبب تسمية أهل الكهف بالفتية في القرآن هو إيمانهم بالله تعالى بلا دليل وبدون أي وساطة للعقل؛ فهذا أبو عبد الرحمن السلمي يقول: "سمي أصحاب الكهف فتية؛ لأنهم ءامنوا بربهم **بلا واسطة ولا استدلال**"[١]،

المعرفة بين الفلاسفة والمتكلمين والصوفية

الصوفية لهم منهجهم الخاص في المعرفة وفي كيفية الوصول إلى الله، وهذا المنهج يختلف عن منهج الفلاسفة والمتكلمين على مر عصورهم، واختلاف طبقاتهم.

فالفلاسفة تنقسم الاتجاهات الرئيسية عندهم في نظرية المعرفة إلى ثلاثة:

المذهب العقلي وهو الذي يقوم على القول بوجود مبادئ عقلية بدهية، وأفكار فطرية تتميز بالضرورة والشمول في العقل، وأن العقل هو مصدر المعرفة الحقيقية، وهو القوة الفطرية في الإنسان. **والمذهب التجريبي:** وهو الذي يقوم على أن العقل يولد صفحة بيضاء، وأنه لا وجود لشيء في العقل إلا وقد سبق إدراكه بالحس والتجربة أولاً. **والمذهب النقدي** وهو الذي يقوم على القول بأن مصدر المعرفة هو العقل والحس معا، فالمعارف بعضها قبلية سابقة على التجربة كمفاهيم الزمان والمكان، وبعضها بعدية لاحقة على التجربة، فالمعرفة تنتج عن اجتماع عاملين، أحدهما صوري يرجع إلى العقل، والآخر تجريبي يرجع إلى الحس.[٢]

ويوجد اتجاه الشكاك وهو مذهب فلسفي يزعم أنه لا سبيل إلى درك الحقيقة، ولا إلى أي معرفة يقينية، وقد عرف في مراحل التاريخ عند شكاك اليونان قديماً. [٣]

---

(١) الفتوة السلمي (صـ٥)، إحكام الدلالة على الرسالة القشيرية للأنصاري (جـ٢/صـ٦٧٠).

(٢) المدخل إلى معاني الفلسفة/عرفان عبد الحميد(صـ١٠٤) دار الشئون الثقافية بغداد ١٩٨٦م.

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية/ يوسف كرم(صـ٣٣٤)ط: دار النشر والتأليف والترجمة. بدون

أما المتكلمون فتناولوا المعرفة تناولاً متكاملاً تحت عنوان النظر، ووسائل الإدراك، وما ماهية النظر الصحيح الذي يؤدي بصاحبه للحقيقة؟ ناظرين إلى أهمية استعمال الوسائل والقوى الإدراكية جميعها، دون الاعتماد على وسيلة أو قوة معينة في الوصول إلى المعرفة الحقة، فلا تناقض عندهم بين هذه الوسائل والقوى[١].

والفلاسفة وإن سبقوا بالكلام على المعرفة على يد أفلاطون (٤٢٧: ٣٧٤ ق.م) الذي بحث المعرفة لذاتها وأظهر التعارض بين بروتاغوراس (٤٨٠: ٤١٠ ق.م) القائل بعدم وجودها أو بنسبيتها، وبين سقراط (٤٦٩: ٣٩٩ ق.م) القائل بوجود معرفة ضرورية بالعقل[٢]، لكن علماء الكلام والأصول لهم فضل السبق بإفراد المعرفة بأبحاث مستقلة في كتبهم[٣]، لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة، ولعلاقته

---

(١) التوحيد لأبي منصور الماتريدي محمد بن محمد بن محمود(ت٣٣٣هـ) (صـ٧،٨) تحقيق: فتح الله خليف/ط: دار الجامعات المصرية. بدون.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية/ يوسف كرم(صـ٩٧، ٩٨).

(٣) فعلى سبيل المثال: أبو منصور الماتريدي(ت٣٣٣هـ) في كتابه التوحيد يعقد فصلًا مستقلًا للحديث عن المعرفة، كما مر في المرجع قبل السابق، والقاضي الباقلاني(ت٤٠٣هـ) في كتابه التمهيد يعقد بابًا في العلم وأقسامه وطرقه ومراتبه وضروب المعلومات، والقاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ) في كتابه المغني الجزء الرابع كاملا. في النظر والمعارف، **يراجع:** تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل لأبي بكر الباقلاني (صـ٢٤) وما بعدها، تحقيق: عماد الدين حيدر/ ط:١/ مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ١٩٨٧م، المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ) الجزء الرابع كاملا في النظر والمعارف، تحقيق: د. إبراهيم مدكور، وبإشراف د. طه حسين/ط: الدار المصرية للتأليف والترجمة. المحصول في علم الأصول/ للفخر الرازي (٦٠٦هـ) (جـ١/صـ٩١) وما بعدها، تحقيق: طه العلواني ط:١/جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -الرياض١٤٠٠هـ، والإحكام في أصول الأحكام /لأبي

بالوجود، بينما لم يحدث هذا الإفراد عند الفلاسفة سوى في العصر الحديث عند جون لوك (ت١٧٠٤م) وذلك في كتابه(مقالة في العقل البشري) الذي صدر عام(١٦٩٠م) فهو يعد أول من بحث المعرفة باستقلال، وأكد في كتابه أن البحث في وسائل الإدراك الإنساني يجب أن يتقدم على أي بحث ميتافيزيقي حقيقي، ثم تتابعت بعد ذلك بحوث المعرفة المستقلة على يد ليبنتز (ت١٧١٦م)، وغيره.[١]

<u>أما الصوفية فكان لهم المنهج</u> الخاص بهم، وهو الاتجاه الحدسي والصوفي الذي ينضبط تحت ما اتُفِقَ عليه بالمعرفة المباشرة، أو اللحظية المفاجئة، أو نور يقذفه الله في قلب العبد بلا وساطة من الحس أو العقل، فهي المعرفة التي لا توجد فيها الواسطة بين الذات العارفة والموضوع المعروف.[٢] والمعبر عنها في القرآن إشارة بالفتوة. فعند الصوفية "سمي أصحاب الكهف فتية؛ **لأنهم ءامنوا بربهم بلا واسطة ولا استدلال**[٣].

وبالنظر لأصالة ذلك نجد القرن الثالث الهجري هو عصر الازدهار للمعرفة في الفكر الصوفي، فأول من تكلم في المعرفة معروف الكرخي(ت٢٠٠هـ)، وتبعه الحارث المحاسبي(ت٢٤٣هـ)، وتابعهما ذو النون المصري(ت٢٤٥هـ) [٤].

الحسن الآمدي (ت٦٣١هـ) تحقيق: عبد الرزاق عفيفي/ط: المكتب الإسلامي، بيروت(جـ٢/ صـ١٨٤) وغيرهم

(١) مقدمة المرحوم أ. د/ محمود حمدي زقزوق لكتاب نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة لراجح الكردي (ص٩) ط: ١/ المعهد العالمي للفكر الإسلامي١٩٩٢م.

(٢) المعجم الفلسفي/ إبراهيم بيومي(صـ٨) ط: الهيئة العامة للمطابع الأميرية القاهرة ١٩٨٨م.

(٣) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي(صـ٥)، إحكام الدلالة لزكريا الأنصاري(جـ٢/صـ٦٧٠).

(٤) في التصوف الإسلامي وتاريخه/ رينولد نيكلسون(صـ١٠٤) ترجمة: أبو العلا عفيفي/ ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٩م.

فكما كان للفلاسفة والمتكلمين والأصوليين اهتمام بالغ بنظرية المعرفة، كانت نظرية المعرفة كذلك عند الصوفيين أيضاً، تحتل مكانة عالية، وأهمية بالغة، بل كان لهم منهج خاص بهم؛ فهم يهتمون فيها بالأخلاق والسلوكيات والطرق التي يسلكها ويتخلق بها الصوفي لمعرفة الله، بل معرفة الله عندهم هي سر تفوق الإنسان على سائر المخلوقات الأخرى، فمقياس نباهة الإنسان الذي يُخبر عن مرتبته في الحياة هو المعرفة عندهم، **من هنا كان موضوع المعرفة الغرض الأصلي للتصوف.**

والفلاسفة والمتكلمون يتفقان في تقديم المعرفة من خلال وسائل الإدراك، حسًا أو عقلًا، ومدى قدرة هذه الوسائل على كسب معرفة يقينية، وكيفية الاستدلال الصحيح، وموضوعات المعرفة التي يمكن اكتسابها من خلال تلك الوسائل في نظرهم، فهم يقدمون المعرفة ويتناولها من ناحية إعطاء تعريف جامع ومانع لماهيته.

أما عند الصوفية فالمعرفة أوسع بكثير، فيتناول الصوفية المعرفة ليس من جهة وسائل الإدراك وحدها، أو كيفية الاستدلال وحدها، بل كل هذه الأمور مجتمعة تؤلف بناءً إدراكيًا متناسقًا يتجه إلى مصدر المعرفة نفسه وهو الله جل وعز.

فتعرض المعرفة عندهم إما من خلال أوصاف العارف، "سئل الجنيد عن العارف والمعرفة فقال: لون الماء لون إنائه، أي هو متخلق بأخلاق الله، حتى أنه هو هو وما هو هو، والمعرفة توجب غيبة العبد عَن نَفْسه؛ لاستيلاء ذكر الحق سبحانه عَلَيْهِ، فلا يشهد غَيْر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ولا يرجع إِلَى غيره"(١). فالمعرفة أن يتخلق العبد بمكارم الأخلاق التي أمره الله تعالى بها، ويتحقق ويتمكن من

---

(١) الرسالة القشيرية(جـ٢/ صـ٣٨٠)باب المعرفة بالله تعالى.

هذا التخلق حتى تصفو له نفسه بأعلى درجات الصفاء، حتى يكون صفة لونه كالماء فلا لون له، فيغيب عن كامل أوصافه البشرية، ويبقى متحققًا بالأوامر الإلهية، فتخفق أجنحة نفسه في المعرفة صاعدةً، صعودًا لَا نعرفه وَلَا يُعرف بنتائجه إلا للمدرسة الصُّوفِيَّة الإسلامية.

أو من خلال التجربة الذوقية الروحية، وهذا ما أكد عليه ابن عربي الحاتمي **(ت٦٣٨هـ)** حينما قال: "إن أصحابنا من أهل الله قد أطلقوا على العلماء بالله اسم العارفين، وعلى العلم بالله من **طريق الذوق معرفة،** وحدوا هذا المقام بنتائجه ولوازمها التي تظهر عن هذه الصفة في أهلها"[١]. يدل ذلك على أن المعرفة عند الصوفية ليست فكرًا يصل العبد إليها من خلال التأمل الفكري والنظر العقلي كما عند الفلاسفة والمتكلمين، بل المعرفة عندهم عبارة عن حياة يتخلق فيها العبد بأخلاق حسنة، ويتصف فيه بأوصاف إلهية أمره الباري تعالى بها، يتعرض فيها للواردات الإلهية بذوقها، فمن ذاق عرف، ومن عرف اغترف[٢]، ثم يصوغ ما عاش وما ذاق في عبارات، هذه العبارات تنتج من العبادات والمجاهدات والأخلاق التي وضعها له طريقه الصوفي، من هنا غلب الذوق النظر العقلي عند الصوفية، أشار الغزالي**(ت٥٠٥هـ)** لذلك بقوله: "فظهر لي أن أخص خواصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات ....، فعلمت يقيناً أنهم أرباب الأحوال، لا أصحاب الأقوال. وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم، بل بالذوق والسلوك".[٣]

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي(ت٦٣٨هـ) (جـ٣/صـ٤٧٤)

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف/ الكلاباذي البخاري الحنفي (ت٣٨٠هـ)(صـ١٢)

(٣) المنقذ من الضلال/ لأبي حامد محمد بن محمد الطوسي، حجة الإسلام الغزالي (ت٥٠٥هـ) (صـ١٧١، ١٧٢) تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود/ دار الكتب الحديثة، مصر.

ويخالف الفلاسفة المتكلمين والصوفية من جهة أخرى، فالفلاسفة في معرفتهم لله تعالى ووجوده يستدلون على وجود الصانع عقلًا باتصافه بالوجوب، أو بوجوب وجوده، أي: من ذاته. والمتكلمون يستدلون على الخالق بما خلقه وصنعه[١]، وبالأسباب المفيدة للعلم الحادث هي: الحواس الخمس–السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس–، والخبر الصادق المتواتر، وخبر الرسول ﷺ، العقل. [٢]

وأما الصوفية فلا يقتنعون بأدلة الفلاسفة، ولا تروي ظمأهم طريقة المتكلمين؛ فلربما تتكشف بعض العلوم لا بسبب من الأسباب الحسية والعقلية والنقلية، بل بنور يقذفه الله في القلب، "والنور هو مفتاح أكثر المعارف. فمن ظنّ أن الكشف موقوف على الأدلة المحرّرة فقد ضيّق رحمة الله الواسعة"[٣]. وقال الكلاباذي "في معرفَته تَعَالَى: أجْمَعُوا–الصوفية – على أَن الدَّلِيل على الله هُوَ الله وَحده، وَقَالَ: رجل مَا الدَّلِيل على الله؟ قَالوا: الله، قَالَ: فَمَا الْعقل؟! قَالوا الْعقل عَاجز وَالْعَاجِز لَا يدل إِلَّا على عَاجز مثله"[٤]

فالفيلسوف يثق في العقل، أو في الحس، أو هما معا، فينطلق من العقل المحض، والمتكلم ينطلق من الدين ويعتمد العقل[٥]، وقد يعتمد في فهم النص الشرعي على الحس، أما الصوفية فثمة شيء أعلى عندهم هو البصيرة أو الذوق،

---

(١) شرح المواقف للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني –ومعه حاشيتا حسن جلبي الفناري وعبد الحكيم السيالكوتي(جـ٨/صـ٣ –١٤). تصحيح: الدمياطي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

(٢) التوحيد الماتريدي(صـ ٦٩: ٧١). تبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي (جـ١/صـ ١٤١).

(٣) المنقذ من الضلال الغزالي (صـ١١٥).

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف/ الكلاباذي البخاري الحنفي (ت٣٨٠هـ)(صـ٦٣).

(٥) المسالك في الخلافيات بين المتكلمين والحكماء/ مستجي زاده عبد الله بن عثمان بن موسى أفندي، (صـ٤١) تحقيق: د. سيد باغجوان، ط:١/ دار صادر بيروت لبنان، (٢٠٠٧م).

فهم اعتمدوا ما اعتمد عليه المتكلمين من الأشاعرة، إلا أن الصوفية زادوا عليهم بجعلهم النصوص الدينية التي تحدثت عن تطهير القلوب وتهذيب النفوس منهجًا عمليًا سلوكيًا في حياتهم اليومية.

فخلاصة المعرفة الصوفية بداياتها أشعرية، ونهايتها إلهام ولطائف أفهام.

ولما كانت الفتوة عند الصوفية هي مجموعة من مكارم الأخلاق وأعاليها، وكان الوصول إلى معرفة الله عندهم يمر عبر الرياضات والمجاهدات والعبادات، من هنا كانت الفتوة طريقًا للوصول إلى معرفة الله تعالى، وهي المعرفة التي لا توجد فيها الواسطة بين الذات العارفة والموضوع المعروف.[١] والمعبر عنه في القرآن إشارة بالفتوة.

فعند الصوفية: "سمي أصحاب الكهف فتية؛ **لأنهم ءامنوا بربهم بلا واسطة ولا استدلال**"[٢]. **والباري تعالى سماهم فتية؛** لأنهم ءامنوا بربهم بلا واسطة ملك أو رسول؛ بل كان إيمانهم بالفطرة لسابق عناية الله بهم.[٣]

والفُتُوَّة تجعل من يتصف ويتحقق بها يطلع على الأسرار الغيبية الإيمانية بعين البصيرة بلا شك ولا شبهة، اطلاعًا عينيًا، وهذا هو الإلهام عندهم، فكأنهم أرادوا أن تكون الفُتُوَّة هي الجانب التطبيقي لطريق الصوفية في المعرفة للوصول إلى الله: فـ"درجة الفُتُوَّة في الأصول–العقائد–: ألا يتعلق –السائر إلى الله–في المسير إليه بدليل، ولا يأنس مما سواه بخليل، ودرجتها في الأحوال: الاكتفاء بالمواهب، والارتقاء عن ريب المكاسب"[٤]. فالفُتُوَّة صاحبها يصل إلى الله بالإلهام والبصيرة، دون الاستناد إلى دليل عقلي.

---

(١) المعجم الفلسفي/ إبراهيم بيومي(صـ٨) ط: الهيئة العامة للمطابع الأميرية القاهرة ١٩٨٨م.

(٢) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي (صـ٥)، إحكام الدلالة (جـ٢/صـ٦٧٠).

(٣) نتائج الأفكار القدسية للعلامة مصطفى العروسي (جـ٣/صـ٢٩٩).

(٤) معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (صـ٢٦١)، (صـ٢٨٩) ..

المطلب الثاني: الفتوة تربط التصوف بعلم الكلام

الفُتُوَّة دليل على مذهب أهل السنة في خلق أفعال العباد:

خلاصة الفُتُوَّة وأشرف خصالها، وأفضل ما يميزها عن غيرها ما ذكر من أن "الفُتُوَّة: ألا ترى لك فضلًا، ولا تشهد لنفسك حقًا على غيرك[١]-كما مر بيانه-، وعند إمعان النظر في عدم رؤية فضل للنفس، ينتج عنه التسليم المطلق بأن الله تعالى هو الخالق لأفعال العباد، فصاحب الفُتُوَّة لا يرى لنفسه فضلًا في الإحسان إلى الناس، بل لو أساء الناس إلى صاحب الفُتُوَّة فلا يرى لهم دخلًا في الإساءة؛ لأن الباري تعالى هو الخالق لأفعال العباد، الآمر لهم بالإحسان، وفي ذلك يقول الإمام السنوسي (ت٨٩٥هـ):

"الفُتُوَّة وهي: التجافي والتباعد عن مطالبة الخلق بالإحسان إليه، ولو أحسن إليهم؛ لعلمه بأن إحسانه وإساءتهم إليه كل ذلك مخلوق له تعالى، قال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: ٩٦]، فلم ير لنفسه إحسانًا حتى يطلب عليه جزاءً، ولم ير لهم إساءة حتى يذمهم عليها[٢].

فالفُتُوَّة عند الصوفية تؤيد مذهب أهل السنة الأشاعرة من أن الله هو الخالق

---

(١) شرح منازل السائرين القاشاني (صـ ٢٤٨) و إحكام الدلالة لزكريا الأنصاري (جـ٢/ صـ٦٦٩)

(٢) شرح أم البراهين للسنوسي(صـ٩٩)،ط:١/ مطبعة الاستقامة ١٣٥١هـ، وحاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي على أم البراهين (صـ ١٤٠) ط: مطبعة بن هلابي- فلابي . تايلاند/ عن مطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر. بدون تاريخ.

لأفعال العباد(1)، وأن العبد ليس له إلا الكسب أو الاكتساب(2)، وليس كما قالت المعتزلة من أن العبد يخلق أفعاله الاختيارية(3)

وفي ذلك يقول السلمي(ت٤١٢هـ): {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات / ٩٦]، أي: أوجدكم وأوجد أعمالكم بلا شريك ولا عون فالخلق قائمون بالحق(4)، "وهو دليلنا –الصوفية– في خلق الأفعال لله تعالى، أي: الله خالقكم وخالق أعمالكم".(5)

وقال الكلاباذي (ت٣٨٠هـ): وَأَجْمع القوم –الصوفية– أَنهم مختارون **لاكتسابهم مريدون لَهُ**، وَلَيْسوا بمحمولين عَلَيْهِ، وَلَا مجبرين فِيهِ وَلَا مستكرهين لَهُ، **وَمعنى قَوْلنَا مختارون** أَن الله تَعَالَى خلق لنا اخْتِيَارًا فَانْتفى الْإِكْرَاه فِيهَا.(6)

فالصوفي يقول بما قاله أهل السنة الأشاعرة من خلق الله تعالى لأفعال العباد، وبالنص منهم على الكسب، بل يقول: "كيف يكون لغير الله فعلٌ وهو معه بما يبدو فيه من التحريك والتسكين وعموم التكوين؟! قال تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} (الحديد/٤) أي: يكوِّنُ ويُجمع كونكم الشامل لذواتكم، وأعراضكم، وأفعالكم من حركاتكم وسكناتكم، قال تعالى {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (الانعام/١٦٢، ١٦٣)(7).

---

(١) اللمع للأشعري(صـ٧١) وما بعدها، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي(صـ٤١، ٤٢، ٤٣)، شرح المواقف للجرجاني(جـ٨/ صـ١٧٤) وما بعدها، وشرح المقاصد للتفتازاني (جـ٤/ صـ٢٢٧).

(٢) الفرق بينهما الكسب: عبارة عن المقدور بالقدرة الحادثة عند مقارنة القدرة القديمة للقدرة الحادثة. والخلق: وهو المقدور بالقدرة القديمة فقط. أو يفرق بينهما بأن الكسب: هو الفعل القائم بمحل القدرة عليه. والخلق: وهو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه. أبكار الأفكار للآمدي(جـ٢/صـ٤٢٥).

(٣)المغني/عبدالجبار/المخلوق(جـ٨/صـ٣)، وشرح الأصول الخمسة له (صـ٣٦٩).

(٤) تفسير السلمي = حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي(ت٤١٢هـ)(جـ٢/صـ١٢١)

(٥) البحر المديد لأبي العباس أحمد ابن عجيبة الحسني (ت١٢٢٤هـ) (جـ٤/صـ٦٠٧)

(٦) التعرف لمذهب التصوف الكلاباذي (صـ٤٨).

(٧) عوارف المعارف للسهروردي (صـ٤٥٧)، تحرير المطالب/ البكي الكومي (صـ١٩٢).

الفُتُوَّة تقتضي عدم الإساءة لعصاة المؤمنين

لما أعرض صاحب الفُتُوَّة وابتعد عن مطالبة الخلق بالإحسان إليه؛ لعلمه بأن إحسانه لهم، وإساءتهم إليه كل ذلك مخلوق للباري تعالى، وجب عليه تعبدًا لله تعالى أن يكرم عصاة المؤمنين، إلا أن يكون الشرع هو الذي أمر بذمهم أو معاقبتهم، كما لو ارتكبوا موجب حد كالسرقة مثلا، فيذمهم صاحب الفُتُوَّة تنفيذًا لأوامر الشرع، وقيامًا بوظيفة التعبد فقط، فيهجرهم هجرًا جميلًا؛ لأن الإيمان يزين المؤمن. وفي ذلك يقول الإمام السنوسي:

صاحب الفُتُوَّة "لم ير لنفسه إحساناً حتى يطلب عليه جزاءً، ولم ير لهم إساءة حتى يذمهم عليها، اللهم إلا أن يكون الشرع هو الذي أمر بذمهم أو معاقبتهم، فيفعل حينئذ ما أمر به الشرع ليقوم بوظيفة التعبد فقط"(١).

وهذا الجنيد رحمه الله يقول: "إن الله تعالى أكرم المؤمنين بالإيمان، وأكرم الإيمان بالعقل، وأكرم العقل بالصبر، فالإيمان زين المؤمن، والعقل زين الإيمان، والصبر زين العقل"!(٢). وقال أبو الحسن الشاذلي(٦٥٦هـ): أكرم المؤمنين ولو كانوا عصاة لرب العالمين، واهجرهم رحمة بهم، لا تعززًا أو تكبرًا عليهم، فلو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض، فكيف بنور المؤمن المطيع؟!!(٣)

---

(١) شرح أم البراهين للسنوسي(صـ١٠٠)،حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي على أم البراهين للسنوسي(صـ ١٤٠). حاشية السكتاني على شرح أم البراهين للسنوسي (صـ٦١١) .

(٢) عوارف المعارف/ شهاب الدين السهروردي (صـ٤٦١).

(٣) عدة المريد الصادق/ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد البرنسي، المعروف بـ **زروق** (ت٨٩٩هـ)(صـ١٦٠) تحقيق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني/ ط:١/ دار ابن حزم٢٠٠٦م، وحاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي(صـ ١٤٠).

المطلب الثالث: الفتوة وذكر الله تعالى

بناء على ما تقدم، ولما كانت الفتوة هي أول قدم في الإيمان، وكان أصل الإيمان عند الصوفية تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وبدونهما لا يكون العبد مؤمنًا عند الله وعند الناس معا، هنا كان عمل اللسان بالذكر والمداومة عليه، بل والإكثار من ذكر الله تعالى يورث العبد مقام الفتوة، ومن هنا لزم ربط الحديث عن الفتوة بالكلام عن الذكر.

حقيقة الذكر: أثبت الصوفية عمق الذكر فاعتبروه مقامًا شريفًا، يثمر المقامات كلها كالفتوة التي هي أعلاها، ويغني المعارف وينتجها، فجعلوا حقيقة الذكر ترجع إلى اطمئنان القلب وتحقق المراقبة لله تعالى بالقلب، "**فحقيقة الذكر:** ما اطمأن بمعناه القلب، وتجلّى في حقائق سحاب أنوار سمائه الرب سبحانه، أو العلم بأن الله تعالى مشاهدك، وتراه بقلبك قريباً منك، وتستحي منه ثم تؤثره على نفسك في أحوالك كلها. (١)

فضل الذكر: امتثل الصوفية لأمر الله تعالى بالإكثار من ذكره، فأسسوا لذلك طرقًا، ووضعوا الذكر شعارا للطرق، دعامتها المداومة والاستمرارية في النهل من الذكر، فـ"الذكر **ركنٌ قويُ يتقرب** به الصوفي في طريقه للوصول إلى الله سبحانه وتعالى، بل العمدة في هذا الطريق، بل لا يصل أحد إلى الله إلا بدوام ذكره"(٢). وذلك امتثالًا للأمر الإلهي في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الأحزاب/ ٤٢،٤١] وهو أفضل العبادات والشرعيات في طريق السالك إلى الله عندهم، كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ

---

(١) تفسير التُستري (ت٢٨٣هـ)(صـ٧٠)، البحر المديد لابن عجيبة (جـ١/صـ١٨٤)

(٢) الرسالة القشيرية(جـ٢/صـ٢٧٤).

الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟" قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"[١]

أنواع الذكر وترابط أنواعه: هدف الصوفية تقوية علاقة المريد بربه عن طريق الذكر، فهم يريدون ربط الظاهر بالباطن، فربطوا التصديق القلبي بالإقرار اللساني كما مر، معتبرين الأذكار السبيل والطريق الأفضل لتقويم سلوك المريد؛ فـ **الذكر على أنواع:** ذكر اللسان كفارات ودرجات، وذكر القلب زلف وقربات، والذكر إما ذكر اللسان فقط وهو ذكر الغافلين[٢]، وذكر القلب واللسان وهو ذكر السائرين، وذكر القلب فقط، وهو ذكر الواصلين، فذكر اللسان بِهِ يصل العبد إِلَى استدامة ذكر القلب، والتأثير لذكر القلب فَإِذَا كَانَ العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فَهُوَ الكامل فِي وصفه فِي حال سلوكه. فإن دمت على ذكر السائرين رفعك إلى ذكر مع الغيبة عما سوي المذكور؛ لما يغمر قلبك من النور، وربما يعظم قرب نور المذكور فيغرق في النور حتي يغيب عما سوي المذكور.[٣]

الذكر منشور الولاية والفتوة: المداومة على الذكر، وإحياء القلب والسر بالذكر يورث المريد إحياء اللسان والعلانية بالطاعة، فالذكر يورث السالك الفتوة والولاية، يقول القشيري عن شيخه: "سمعت الأستاذ أبا عَلِيّ الدقاق يَقُول الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فَقَدْ أعطى المنشور.[٤] ويقول السلمي: "ومن الفتوة

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه برقم (١٨٢٥) باب الدعاء والتكبير والتهليل. وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، المستدرك على الصحيحين الحاكم النيسابوري (جـ١/صـ٦٧٣).

(٢) الغفلة هنا باعتبار عدم موافقة القلب للسان في الذكر.

(٣) طبقات الصوفية السلمي (صـ١٧٤)، الرسالة القشيرية(جـ٢/صـ٢٧٤)، و البحر المديد لابن عجيبة (جـ١/صـ١٨٤)، وإيقاظ الهمم شرح متن الحكم له أيضًا(صـ٦٢).

(٤) الرسالة القشيرية(جـ٢/صـ٢٧٤)، و البحر المديد لابن عجيبة (جـ١/صـ١٨٤)،

إحياء السر بالذكر، وإحياء العلانية بالطاعة.... فخلق الله السر، وجعل حياته بذكره. وخلق العلانية، وجعل حياتها بطاعته"، وسئل الفضيل بن عياض (ت١٨٧هـ)ما الفتوة؟ قال: التواضع للذاكرين". [١]

الفُتُوَّة من فوائد ذكر الله بكلمة الشهادتين

خلف على نهج سلف: فكما مر من قول الخلف وهو شيخ الأزهر مصطفى العروسي (ت١٢٩٣هـ) شارحًا ومعقبًا: "قوله الفُتُوَّة حسن الخلق، قد استوعب حقيقة الفُتُوَّة فلله دره."[٢]، فالعروسي هنا يسير على نهج سلفه، وهو العلامة السنوسي (ت٨٩٥هـ) الذي يصرح في شرح أم البراهين، أن المداومة على ذكر الله بلفظ الشهادتين «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» يجعل الذاكر يتحلى بحقيقة الفُتُوَّة التي هي حسن الخلق، الذي قال عنه خلفه العروسي إنه استوعب حقيقة الفتوة.

وفيه يقول السنوسي(ت٨٩٥هـ): "المواظبة على ذكر الكلمة المشرفة–الشهادتين–على الوجه الذي ذكرناه يحصل فوائد كثيرة: منها **ما يرجع إلى محاسن الأخلاق الدينية**، ومنها ما يرجع إلى خوارق العادات. أما الأول: فمنها...، **ومنها: الفُتُوَّة**"[٣].

فلما كانت الفتوة مقامًا صوفيًا يظهر في تطبيق صاحبه لمنظومة أخلاقية يتعامل بها مع ربه، ومع نفسه، ومع غيره من المخلوقات، كل ذلك في طريق الوصول إلى الله، وكانت المداومة على ذكر الله عند السائرين يعظم قرب نور المذكور فيغرق قلب الذاكر في النور حتى يغيب عما سوي المذكور، من هنا فالذكر طريق يورث الفتوة.

---

(١) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي (صـ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٤١).

(٢) نتائج الأفكار القدسية للعلامة مصطفى العروسي (جـ٣/صـ٣٠٠) .

(٣) شرح أم البراهين للسنوسي(صـ٩٩، ١٠٠) ط:١/ مطبعة الاستقامة ١٣٥١هـ.

شبهة على الذكر بلفظ الشهادتين والرد بالفتوة

دوام ذكر الله تعالى بلفظ الشهادتين مجتمعتين يورث الذاكر الفُتُوَّة؛ لأن بعض الناس أراد إفراد التهليل عن إثبات الرسالة؛ لاختلاف المعاني بين قولنا «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّه» وقولنا: «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»، وإذا اختلفت المعاني التي ترد على القلب ضعف تأثير الوارد على قلب الذاكر، وكانت الفائدة قليلة، **يقول السنوسي هذه الشبهة:**

"وقد قال بعض من طبع الله تعالى على قلبه ممن يتعاطى التصوف، –وليس هو من أهله مقالة قريبة من الكفر، أو هي الكفر بعينه–: إن الإكثار من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حجاب عن الله تعالى، وقد سلك بعض الضالين مثل هذه العبارة فقال: إذا أفردت التهليل عن إثبات الرسالة كان أبلغ وأسرع في تأثير معنى التوحيد، واحتج لضلاله وتسويل شيطانه بأن قال: للتهليل معنى ولإثبات الرسالة معنى، وإذا اختلفت المعاني على الباطن ضعف التأثير، وبعدت الثمرة"(١).

وليت هؤلاء يفهمون كلام الصوفية في الفتوة، ففي الفتوحات المكية أن من الفتوة قوله تعالى {وَإِذْ قَالَ موسى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ} الكهف/٦٠، فأطلق عليه باللسان العبراني معنى يعبر عنه في اللسان العربي بالفتى، وكان في خدمة موسى، وكان موسى في ذلك الوقت حاجب الباب؛ فإنه الشارع في تلك الأمة ورسولها، ولكل أمة باب خاص إلهي، وشارعهم حاجب الباب الذي يدخلون منه لله تعالى، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو حاجب الحجاب؛ لعموم رسالته صلى الله عليه وسلم

---

(١)شرح أم البراهين للسنوسي(صـ١٠٠) حاشية السكتاني على شرح أم البراهين للسنوسي(صـ٦٠٨، ٦٠٩) تحقيق أحمد عارف بن ذو الكفل/ط:١/دار الصالح بالقاهرة ٢٠٢١م
.

دون سائر الأنبياء عليهم السلام، فهم حجبته من آدم عليه السلام إلى آخر نبي ورسول، وإنما قلنا إنهم حجبته لقوله صلى الله عليه وسلم:«وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلا فَخْرَ،... آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي، وَلا فَخْرَ »[١]، فالأنبياء نوابه صلى الله عليه وسلم في عالم الخلق.[٢]

فكيف يكون ذكر الله تعالى بإثبات رسالة نبيه صلى الله عليه وسلم مع التهليل حجابًا ومانعًا عن الله تعالى؟! مع أن المصطفى صلى الله عليه وسلم هو الباب الذي ندخل منه لله تعالى، والطريق الذي نصل به لله تعالى، بل هو الباب الذي يصل به الخلق جميعًا من الأولين والأخرين لله تعالى. فكيف يكون ذكره مانعًا من الوصول؟!

ثم يتابع السنوسي بذكر الرد على هذه الشبهة، بإن ذلك يكون عند دخول الإسلام فقط، فيقول: "وإنما يحتاج إلى وصل الذاكرين عند الدخول في الإسلام...، وهذه المقالة والعياذ بالله تعالى من الفتن التي لا مورد لها غير النار، ولا عقبى لها سوى دار البوار، وما ذاك إلا مكر واستدراج إلى رفض الشريعة، والانحلال من ربقتها وتعطيل رسومها، ولو علم هذا الضال ما تحت قوله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأسرار التوحيدية، والحكم التهليلية، لانقشع عنه ذلك العمى فأصاب المرمى"[٣].

ومن الأسرار في (أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّه) أن فيها بيانًا لتعريف التصوف الراجح بالصفاء والمشاهدة، ففيها تحقيق للمشاهدة التي هي غاية الصوفي،

---

(١) أخرجه الإمام احمد في مسنده (جـ٤/صـ٣٢٠) برقم (٢٥٤٦)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي(ت٦٣٨هـ) (جـ١/صـ٣٦٨، ٣٦٩).

(٣) شرح أم البراهين للسنوسي(صـ٩٩) .

وبتكرارها يحاول الصوفي التحقيق الواقعي للتعبير، ويحاول تحقيق مضمون ما يلفظ به قولا وحروفًا.(١)

ومن الأسرار في (أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّه) أن النفي فيها المراد به غاية الإثبات، ونهاية التحقيق، ومعناها أي: أخبر بأني قاطع بالوحدانية أي: نفي الألوهية عن كل ما سوى الله، وإفراده تعالى بالوحدانية، والشهادة خبر قاطع، فالقطع من فعل القلب، واللسان يخبر بذلك، والمشاهدة هي المعاينة، فتشهد شهادة اليقين أنه لا معبود بحق إلا الله.

ومن خواص(لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّه) أن حروفها مهملة-غير منقوطة-؛ للتنبيه على التخلية والتحلية، التخلية بالتجرد من كل معبود سوى الله، فيتخلى الذاكر أولاً من قلبه ويطرد عنه كل ما سوى الله؛ فالموجودات سواه على العموم في أتم العجز عن إيصال أي أمر إلى نفسه، أو إلى غيره. فلما غسل الذاكر قلبه بذلك النفي القوي العام، حلاه حينئذ بزينة الدخول في حضرة الملك العلام، الذي ثبت له الكمال التام في الصفات والأسماء، وابتهج قلب الذاكر بنور الحقيقة، ولما كان بعد نفي لا إله إلا الله الابتهاج بنور الحقيقة بإثبات التفرد بالألوهية لله تعالى؛ كان الانتفاء بـ(لا إله إلا الله) موقوفاً على القيام بأفعال الشريعة، وذلك لا يكون إلا بالمداومة على ذكر صاحبها المبلغ لها عن الله تعالى، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، من هنا احتياج الذاكر بعد كلمة التوحيد الدالة على الحقيقة أن يتبعها بإثبات رسالة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول (وأشهد أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) بصدق ويقين، وذلك يقتضي متابعته؛ ليحفظ نور توحيده، بإدخاله في حرز الشريعة المنيع؛ ولذا يقول الذاكر بعد لا إله إلا الله محمد رسول

---

(١) قضية التصوف وتحقيق المنقذ من الضلال/ للعارف بالله/عبد الحليم محمود(صـ٧٤)

الله صلى الله عليه وسلم.[1]

وقولنا(وأشهد أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) فمُحَمَّد اسم علم على ذاته صلى الله عليه وسلم على وزن مُفَعَّل مبالغةً، بمعنى محمود؛ لتكرار الحمد له صلى الله عليه وسلم المرّة بعد المرّة، فهو اسم مطابق لذاته صلى الله عليه وسلم، فذاته محمودة على ألسنة العوالم في الأرض والسماء، فخص صلى الله عليه وسلم من حيث تنزل الأمر عليه بالأحمدية، ومن حيث بلوغ الأمر ومنتهى المفعولية بالمحمودية، فهو حامل لواء الحمد بيده، وصاحب المقام المحمود يحمده فيه الأولون والأخرون.[2]

المطلب الرابع: مقامات تعلوها الفُتُوَّة وتشاركها

للفتوة علاقة ترابط بكثير من المقامات في الطريق الصوفي، ولكن ما نقصد إليه هنا هي بعض ما ذكره الصوفية بالمقارنة بينها وبين الفتوة، كالتوكل، والتوكل بمعناه العام غصن على شجرة اليقين، ويدخل فيه التوكل والتسليم والتفويض.[3]

---

(١) شرح أم البراهين للسنوسي(صـ٩٧، ٩٨)، حاشية السكتاني على أم البراهين(صـ٦٠٨، ٦٠٩)

(٢) تحرير المطالب للبكي الكومي(صـ٧٥، ٧٦).

(٣) فوائح الجمال وفواتح الجلال / نجم الدين كُبرى(صـ٢٥٤)تحقيق: د. يوسف زيدان، ط:١/دار سعاد الصباح، ١٩٩٣م.

والتوكل[1]في اصطلاح الصوفية: الانخلاع من الحول والقوة، وأن يرى المتوكل أن الخلق الحسن من فضله تعالى ومنته، لا من كسبه وقوته.[2]

الترابط والتوافق بين الفتوة والتوكل

يرتبط التوكل بالفتوة عند الصوفية لأمور منها:

أولا: أن الفتوة مقام القوة عند الصوفية[3]، والتوكل يوصل العبد ليكون قويًا، فقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" مَنْ سرَّه أن يكون أقوى الناس؛ فليتوكل على الله، ومن سره أن يكون أكرم الناس؛ فليتق الله، ومن سره أن يكون أغنى الناس؛ فليكن بما في يد الله أوثق بما في يده".[4]

ثانيًا: ما ورد من تداخل التوكل والفتوة واستخدام القوم لهما للدلالة على معاني واحدة، فهذا أبو تراب النخشبي (ت٢٤٥هـ)–حين سئل عن التوكل–فقال: "الطمأنينة إلى الكفاية؛ فإن أعطي شكر، وإن منع صبر، راضياً موافقاً للقدر".[5]

هذه التعبيرات ذكرها الإمام القشيري، وكذلك صاحب مدارج السالكين، للدلالة

---

(١) التوكل لغة: إظهار العجز، والاعتماد على الغير، والاسم: التكلان. يقال: توكل بالأمر: إن ضمن القيام به، ووكلت أمري لفلان: ألجأته إليه، واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلاناً: إذا عجز عن القيام بأمر نفسه. لسان العرب (جـ١١/صـ٧٣٤). القاموس المحيط/الفيروزآبادى/ط:٨/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان ٢٠٠٥م.

(٢) عوارف المعارف/السهروردي(صـ٣٤٦)،ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (صـ٢٣٨).

(٣) الفتوحات المكية لابن عربي(ت٦٣٨هـ) (جـ١/صـ٣٦٥).

(٤) الحديث أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد، في أخبار عمر بن عبد العزيز، برقم (١٧٠٧) ط١:دار الكتب العلمية– بيروت ١٩٩٩م. والحديث في سنده ضعف؛ فيه هشام بن أبي هشام، وعند ابن حجر متروك. وبداية الحديث عند ابن أبي الدنيا في كتاب التوكل برقم(٩) (جـ١/ صـ٤٩) تحقيق: مصطفى عطا ط١: الكتب الثقافية–بيروت ١٩٩٣م.

(٥) اللمع للسراج الطوسي (صـ٥٦)، إحكام الدلالة للأنصاري(جـ١/صـ٥٢٥).

على المعاني السابقة، ولكن ذكرا أن شقيق البلخي(ت١٩٤) دخل على جعفر الصادق (ت١٤٨هـ)، فسأله عن الفُتوة، وليس عن التوكل، سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عن الفتوة؟ فقال: ما تقول أنت؟ فقال شقيق: إن أُعْطينا شكرنا وإن منعنا صبرنا، قال جعفر: الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل، فقال شقيق: يا ابن بنت رسول الله، ما الفتوة عندكم؟ فقال: إن أعطينا آثرنا وإن منعنا شكرنا. (١)

وقريب منه ما كان بين شقيق البلخي(ت١٩٤) وإبراهيم بن أدهم (ت١٦٢هـ)، أنهما اجْتَمعا "فِي الطَّوَافِ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِشَقِيقٍ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَصَّلْتُمْ أَصْلَكُمْ؟ قَالَ: أَصَّلْنَا أَصْلَنَا عَلَى أَنَّا إِذَا رُزِقْنَا أَكَلْنَا، وَإِذَا مُنَعْنَا صَبَرْنَا، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: هَكَذَا تَفْعَلُ كِلَابِ بَلْخٍ، فَقَالَ لَهُ شَقِيقٌ: فَعَلَى مَاذَا أَصَّلْتُمْ؟ قَالَ: أَصَّلْنَا عَلَى أَنَّا إِذَا رُزِقْنَا آثَرْنَا، وَإِذَا مُنَعْنَا شَكَرْنَا وَحَمِدْنَا، فَقَامَ شَقِيقٌ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: يَا أُسْتَاذُ أَنْتَ أَسْتَاذُنَا". (٢)

درجات التوكل

يلخص لنا القشيري درجات التوكل فيقول:" التوكل ثلاث درجات: **التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض**؛ فالمتوكل يسكن إلى وعده، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه، وصاحب التفويض يرضي بحكمه"، فالمتوكل يسكن إلى وعده بقوله:{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} (هود/٦)، وله اختيار، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه جل وعز بحاله؛ فهو يعلم ما هو فيه، وصاحب التفويض يرضى بحكمه جل وعز بكل ما يجريه عليه– وافق غرضه، أو خالفه– ولا اختيار لهما؛ لأنهما سلَّما وفوَّضا الأمور إليه(٣)

---

(١) الرسالة القشيرية (جـ٢/صـ٣٨٤)، مدارج السالكين (جـ٢/صـ٣٢٥).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(جـ٨/صـ٣٧)، طبقات الأولياء لابن الملقن(جـ١/صـ٩).

(٣) الرسالة القشيرية (جـ١/صـ٣٠٢)، إحكام الدلالة للأنصاري (جـ١/صـ٥٢٩).

الفرق بين الفُتُوَّة، والتوكل بدرجاته كالمسالمة، والتفويض

التسليم أو المسالمة[1]**باصطلاح الصوفية** هي: "الإذعان والتسليم لما يُثبت النفس على خلاف مقتضى طباعها، من الصبر مكان الطيش، والإيثار مكان الشح، ويلزمها العدالة والتوسط، ويردعها عن طرفي الإفراط والتفريط في كل خلق".[2] فما أجمل أن يستسلم العبد لكل ما يخالف طباع نفسه، بل يُثبت تسليمه ورضاه الدائم بمخالفة ما طبعت عليه نفسه، فالنفس من طبعها حب البخل والشح والطيش، فصاحب المسالمة يثبت في نفسه الصبر والكرم والإيثار، فيرد نفسه عن الإفراط والتفريط، ويجعلها تلتزم الوسطية، وذلك هو تكسير صنم النفس بمنعها عن شهواتها وملذاتها المشار إليه بالفتوة في القرآن الكريم.

ودرجة التفويض[3] **في الأخلاق** في اصطلاح الصوفية: هي تفويض النفس إلى مالكها ومدبرها، تمسكًا بدعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم[4] اللهُمَّ «اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»[5]

مقارنة بين التوكل والتفويض والتسليم

فالتوكل الخاص هو بداية المقام وصفة العوام من المؤمنين، حين يكون السكون

---

(١) التسليم لغة : بذل الرضا بالحكم، لسان العرب لابن منظور (جـ٣/صـ٢٠٦)

(٢) معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (صـ٢٤٣)، وقارن: طبقات الصوفية للسلمي (جـ١/ صـ٦١)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم(جـ٩/صـ٣٦١).

(٣) التفويض لغة: فوض إليه الأمر: صيره إليه وجعله الحاكم فيه. يقال: فوض أمره إليه إذا رده إليه وجعله الحاكم فيه لسان العرب لابن منظور (جـ٧/صـ٢١٠).

(٤) معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (صـ٢٤٠).

(٥) الحديث في صحيح مسلم/ باب الدعاء في صلاة الليل(جـ١/صـ٥٣٤) حديث رقم(٧٧١) ويراجع: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (صـ٢٤٠).

مع إسقاط التدبير، فصاحب هذه الدرجة إذ أعطي شكر، وإذا مُنع صبر.

والتسليم: هو الدرجة الوسطى، وصفة الخواص، يكتفي المريد بعلم الله فيه، فيستوي المنع والعطاء عنده.

والتفويض: الدرجة العليا ونهاية درجات مقام التوكل، وهي صفة خواص الخواص، فيكون المنع مع الشكر أحب إلى العبد مما سواه. (١)

المسالمة والتفويض بمعنى واحد

جعل بعض الصوفية المسالمة والتفويض بمنزلة واحدة في المنظومة الأخلاقية التي تعلوها الفُتُوَّة عند الصوفية؛ لأن استسلام العبد لكل ما يخالف طباع نفسه، وتثبيته للإيثار مكان البخل والشح لا يتحقق إلا بتفويض النفس في هدايتها إلى مالكها ومدبرها، فلا يهدي العبد لأحسن الأخلاق إلا الله، ولا يصرف عن العبد سيء الأخلاق إلا الله تعالى، ومن هنا نجد بعض الصوفية يجعل المسالمة بمعنى التفويض، والتفويض بمعنى المسالمة، وفي ذلك يقول الشيخ الدسوقي(ت١٢٣٠هـ) في حاشيته على شرح أم البراهين: "المسالمة وتسمى أيضا بالتفويض، وهو استسلام الأمور كلها لله، وتفويضها إليه...، واعلم أن التفويض الذي هو المسالمة.."(٢)

الفُتُوّة أعلى درجة من المسالمة والتفويض في التخلق، فعند النظر **للفُتُوَّة** والمقارنة بينها وبين المسالمة من الجانب الأخلاقي، نجد أن الفُتُوَّة أعلى درجة من المسالمة؛ لأن المسالمة توجد مع وجود بقايا النفس؛ لأن صاحب المسالمة إذا أحسن إلى الناس فنفسه تلاحظ أنها أحسنت للناس، وإذا وقعت من الناس إساءة للمتحقق بالمسالمة لم يؤاخذهم بهذه الإساءة لكن نفسه تلاحظ هذه الإساءة

---

(١) فوائح الجمال وفواتح الجلال / نجم الدين كُبرى(صـ٢٥٤).

(٢) حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين للسنوسي وبهامشها الشرح المذكور(صـ ٢٣٦) ط: دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه. بدون.

منهم، أما الفُتُوَّة فالمتحقق بها نفسه اختفت، ولم يعد لها أي وجود، فلا يلاحظ إحسانه على الناس إن أحسن إليهم، ولا يلاحظ أذية الناس إن أساء الناس إليه؛ لأن نفس صاحب الفُتُوّة لا تجامع الفُتُوّة أبدا. ومن هنا كانت الفُتُوّة أعلى من المسالمة والتفويض. وفي ذلك يقول الشيخ الدسوقي(ت١٢٣٠هـ):

"وإنما كانت الفُتُوّة فوق المسالمة، لأن المسالمة تجامع بقايا النفس، فلربما قامت عليه، بخلاف الفُتُوّة فإن النفس انمحقت معها، ففي الفُتُوّة لا يلاحظ أن له إحسانًا على غيره، ولا للخلق أذية عليه؛ لانمحاق نفسه بالمرة، وفي المسالمة لا يسأل الخلق إحسانه، مع ملاحظة أن له عليهم الإحسان، ولا يؤاخذهم بأذيتهم له مع ملاحظة أنه وقعت منهم الإساءة له، ولا شك أن الأولى أعلى من الثانية."[1]

التفويض والمسالمة أعلى من التوكل الخاص: وبالنظر في تعريفات المسالمة والتفويض والتوكل بمعناه الخاص السابقة، نجد أن المتوكل له حرية واختيار، ومراد دنيوي يعتمد في الوصول إليه على الله تعالى، بخلاف المسالم والمفوض فليس لهم مراد إلا الوصول إلى حضرة الملكوت، وفي ذلك يقول الدسوقي (ت١٢٣٠هـ): "واعلم أن التفويض الذي هو المسالمة فوق التوكل، لأن المتوكل له مراد واختيار، وهو يطلب مراده بالاعتماد على ربه، والمفوض ليس له مراد".[2]

الفرق بين الفُتُوَّة والمروءة

يشابه مصطلح الفُتُوَّة مصطلح المروءة من حيث اللغة فالفُتُوَّة: فعولة من لفظ فتى، كالمروءة من المرء. والمروءة: كمال الرجولية الإنسانية[3]. والمروءة

(١) حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين للسنوسي (صـ ٢٣٦).

(٢) حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين للسنوسي (صـ ٢٣٦).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ الجوهري (جـ٦/ صـ٢٤٥٣)، لسان العرب(جـ١/صـ١٥٤)

اصطلاحا: قوة للنفس مبدأ لصدور الأفعال الجميلة منها المستتبعة للمدح شرعًا وعقلًا وعرفًا[١]

الآراء في الفرق بين الفتوة والمروءة

<u>الرأي الأول:</u> أنهما لفظان مترادفان. قال الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ): وأما الفتوة: فكالمروءة، فهي اسم لما يختص به الفتى من الفضائل الإنسانية، وهي بالرجولية أشبه.[٢]

وهو مردود بأن الفتوة منظومة من مكارم وأعالي الأخلاق يتفق على ذلك جميع الناس في كل الأوقات والأزمان، وأما المروءة فعادات الناس فيها متباينة، وأحوال العرب فيها خلاف أحوال العجم، ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر، خصوصاً إذا كانت الضرورة. ومن ذلك موافقة شعيب عليه السلام لابنيته بسقي الماشية ورضاه بذلك؛ لأن الأمر في نفسه مباح مع حصول الأمن، مع ثبوت اتصافه بالفتوة.[٣]

<u>الرأي الثاني:</u> الفُتُوَّة تطلق على الشباب بينما تطلق المروءة على الكهول من الرجال[٤] ومن ذلك ما ذكره شيخ الأزهر أ. د/ أحمد الطيب فقال: "ويشتبه مصطلح "الفتوة" بمصطلح "المروءة" من حيث المعنى، وإن كانت الأولى تطلق على الشباب بينما تطلق الثانية على المكتملين من الرجال".[٥]

---

(١) التعريفات الجرجاني(صـ٢١٠).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة/ لأبي القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) (صـ١١٨)تحقيق: د. أبو اليزيد العجمي/ط: دار السلام القاهرة ٢٠٠٧م.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة/ الراغب الأصفهاني (صـ١١٨)

(٤) الفُتُوَّة لابن المعمار(صـ ١٥٠).

(٥)الفُتُوَّة لابن المعمار(صـ ١٥٠)، مفهوم الفتوة لـ أ.د/ أحمد الطيب(جـ١/ صـ٤٩١)

وهذا الإطلاق عند شيخ الأزهر وإمامه الأكبر إن كان لغويًا فلا نزاع معه، وإن كان الإطلاق اصطلاحيا فلا يستقيم، بل يرفضه صاحب الفتوحات، ويوضح أن الفتوة هي: **حالة بين الطفولة والكهولة**،-وليست وقتًا وزمانًا- يقول الله تعالى في الإشارة لهذا المقام: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) الروم/٥٤، فهذه الحالة ما قرن معها شيئاً من الضعف، وهي الفتوة، ويسمى فيها الإنسان(فتى)، ثم يذكر الباري تعالى ضعف الكهولة إلى آخر العمر، فيقول تعالى:(ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) الروم/٥٤، وشيبة أي: وقاراً وسكوناً؛ لضعفه عن الحركة، فالوقار من الوقر وهو الثقل، وقرن الباري تعالى مع الضعف الثاني الشبيبة أي الوقار، لأن الطفل وإن كان ضعيفاً فإنه متحرك جداً. وإبراهيم عليه السلام لما رأى الشيب قال: يا رب ما هذا؟ قال: الوقار، قال: اللهم زدني وقاراً، فهذا حال الفتوة ومقامها، وأصحابها يسمون الفتيان وهم الذين حازوا مكارم الأخلاق أجمعها، والفتيان أهل علم وافر. (١) والغرض عند الفتيان -الشباب- استجلاب محمدة الأقران، والغرض عند الصوفية استجلاب محمدة الرحمن، بل مجرد مرضاته تعالى. (٢)

الرأي الثالث: وهو لابن القيم في مدارجه، وقال بينهما عموم وخصوص مطلق(٣)، فالفُتُوَّة أخص، وهي نوع من أنواع المروءة؛ فالمروءة عنده استعمال ما يجمل ويزين مما هو مختص بالعبد، أو متعد إلى غيره. وترك ما يدنِّس ويشين مما هو مختص أيضا به، أو متعلق بغيره. والفُتُوَّة عنده: إنما هي استعمال

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي (جـ١/صـ٣٦٥)، (جـ٣/صـ٣٤٩).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة/ الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) (صـ١١٨).

(٣) العموم والخصوص المطلق: هو أن يصدق أحد الكليين على كل ما صدق عليه الآخر من غير عكس. والصادق على كل ما صدق عليه الآخر أعم مطلقا، والآخر أخص مطلقا. يراجع: تحرير القواعد المنطقية للقطب الرازي مع حاشية الجرجاني (صـ٦٣).

الأخلاق الكريمة مع الخلق، فكأن المروءة عنده تتعلق بالنفس والغير، والفتوة تتعلق بالغير فقط.(١)

هذا الرأي مردود بما جاء من أقول تؤيد الرأي الرابع، وبمقام فتوة لا فتوة، عندما يقدم الإنسان نفسه على غيرها فيه –على ما سيأتي بيانه– **فكيف تتعلق الفتوة بالغير فقط؟!** **وهو مردود أيضًا** بأن الفتوة لا يمكن أن تكون أخص من المروءة؛ فالمروءة خلق من مكارم الأخلاق، وهذا السُلمي يقول(٢): "الفتوة استعمال مكارم الأخلاق إذ هي من أعمال أهل الجنة، أخبرنا...سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»(٣). **وهو مردود أيضًا** بأن الفتوة حالة ليست محددة بوقت كما مر.

الرأي الرابع وهو الراجح: أن معنى الفُتُوَّة أعم من معنى المروءة، والمروءة تابعة للفتوة. "قال أبو القاسم النصر آبادي(ت٣٦٧هـ): المروءة شعبة من الفتوة"(٤). وقال أبو الريحان البيروني (ت٤٤٠هـ): "المروءة تقتصر على الرجل في نفسه وذويه وحاله، والفتوّة تتعداه إلى غيره"(٥)؛ ولذا لما سئل جعفر الصادق(ت١٤٨هـ)ما الفتوة؟ فقال: الفتوة ليست بالفسق والفجر، ولكن الفتوة:

---

(١) مدارج السالكين/ لابن القيم (جـ٢/صـ٣٤٠)

(٢) الفُتُوَّة لابي عبد الرحمن السلمي(صـ٨).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط بإسناد جيد (جـ٦/ صـ٣١٣) حديث رقم (٦٥٠١)، التيسير بشرح الجامع الصغير/ زين الدين محمد= عبد الرؤوف المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ) (جـ٢/ صـ٣٧٧) ط:٣/ مكتبة الإمام الشافعي – الرياض١٩٨٨م.

(٤) إحكام الدلالة لزكريا الأنصاري (جـ٢/ صـ٦٧١)، والفُتُوَّة لابن المعمار(صـ ١٤٠).

(٥) الجماهر في معرفة الجواهر/ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي(ت٤٤٠هـ) (صـ٨٢) تحقيق: يوسف الهادي/ط:١/وزارة الثقافة والإرشاد ١٩٩٥م.

طعام مصنوع، وعفاف معروف، وأذى مكفوف".[١] ويقول الشيخ العشرون لأزهرنا العلامة مصطفى العروسي (ت١٢٩٣هـ):"والفتوة تنشأ من كمال المروءة، وطهارة النفس من الشهوة الحيوانية".[٢]

والعبرة عند الصوفية ليست بالعموم أو الخصوص، ولكن الاعتبار يكون بالتطبيق العملي والأمثل لهذه الأخلاق الكريمة، التي لا يكون للتصوف معنى بدون تطبيق هذه الخصال والفضائل، ولا وجود للصوفي الساعي إلى تحقيق الكمال الخُلُقي بدون هذا التطبيق، المتمثل في التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتطبيقهما على أرض الواقع. والفُتُوَّة حقيقتها منزلة الإحسان وكفّ الأَذَى عن الغير باحتماله الأَذَى من الناس وكفّه عنهم. فهي في الحقيقة نتيجة حُسْن الخُلُق وغايته.

المطلب الخامس: الرمزية في الفتوة

الرَّمْز[٣]هو: تلطف في الإفهام بإشارة تحرك طرف كاليد والشفتين، والغمز بالحاجب، وعبر عن كل كلام كإشارة بالرمز، كما عبر عن السعاية بالغمز.[٤] فتحول هذا الاستخدام الحسي للرمز بمعنى الإشارة إلى طريقة التعبير اللغوي

---

(١) الفتوة السلمي (صـ٤٧، ٩٣)، الجماهر في معرفة الجواهر/أبو الريحان البيروني (صـ٨٢، ٨٣).

(٢) نتائج الأفكار القدسية للعلامة مصطفى العروسي(جـ٣/صـ٢٩٧).

(٣)الرَّمْز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه، ورَمَزَ إلى الشيء بكذا : دل عليه، يَرْمِزُ ويَرْمُزُ. وارْتَمَزَ من الضَربة، أي اضطَرب منها، أو الرَّمْز تصويت خَفِي بِاللِّسَانِ كالهمس، وتكرر تَحْرِيك الشفتين بِكَلَام غير مَفْهُوم. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (جـ٣/ صـ٨٨٠)، ولسان العرب(جـ٥/صـ٣٥٦).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن /الراغب الأصفهاني (جـ١/صـ٤١٦)ط: دار القلم. دمشق.

الغنية عن الأهداف والمقاصد، بل وعن الأفكار والعقائد. [١]

فالإشارة هي دمج معان كثيرة في ألفاظ قليلة، غيرةً عليه، واتقاءً لحاسدٍ أو جاحدٍ لمعانيه ومبانيه، أو مراعاة لحق الحكمة في الوضع لأهل الفن، دون غيرهم. [٢]

ومن ذلك أن يعرف الصوفية التصوف بأنه هو: "الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً، وهو الخلق الإلهي". فالتعريف يوضح جانب الالتزام بالشريعة، وقولهم: "وهو الخلق الإلهي" يفسره قولهم: "التصوف هو: التخلق بالأخلاق الإلهية"، ويفسر ابن عربي معنى الإلهية بقوله: "كل اسم إلهي مضاف إلى البشر"[٣].

من هنا يستخدم الصوفية الإشارة في الفتوة، التي هي منظومة من أعالي الأخلاق، يأتمر من يسمى بالفتى فيها بالأوامر الإلهية ويبتعد عن نواهيه، فيتمكن الفتى الصوفي من الفتوة، فيرتفع بالبشرية ارتفاعًا لَا نعرفه وَلَا تعرفه الدُّنْيَا لغير الصُّوفِيَّة الإسلامية، تصعيدٌ للكمال، تصعيدٌ تخفق أجنحته صاعدةً حَتَّى تنَال شرف التخلق بأخلاق الصِّفَات الإلهية، فهذا الفناء الذي هو: "لَيْسَ فنَاء جَسَد فِي جَسَد، وَلَا فنَاء روح فِي روح، إِنَّه فنَاء إِرَادَة فِي إِرَادَة، وفناء أَخْلَاق فِي اخلاق، أن يكون العبد فانيًا عَن أَوْصَافه، بَاقِيًا بأوصاف الْحق"، كما في الحديث النبوي «تَخَلَّقُوا بِأَخْلاَقِ اللهِ»[٤]، وصوره الحَدِيث الْقُدسِي« كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ،

---

(١) الرمزية عند ابن عربي/ د: محمد أحمد مصطفى (صـ٢) بكلية أصول الدين بالقاهرة

(٢) قواعد التصوف للشيخ زروق(صـ٤٢) ط: المكتبة الأزهرية١٩٩٨م.

(٣) الفتوحات المكية (جـ٣/صـ١٩١)، ومعجم اصطلاحات الصوفية للقاشاني(صـ١٧٤).

(٤) أورده السيوطي في «تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية» (صـ١٠٥، ١٠٦)، وقال: « معناه اتصفوا بالصفات المحمودة، أو تنزهوا عن الصفات المذمومة، وليس معناه أن تأخذ من صفات القدم شيئا». **وعلق شهاب الدين السهروردي** على قول السيدة عائشة «كان

وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ،..»[1]، فالتخلق يكون بقدر التعلق للعبد في باب التحقق.[2] فالمطلوب ممن يريد الوصول للكمال أَن يطهر أخلاقه وأوصافه من النقائص كلها؛ ليحصل لهُ نوع تأس بأخلاق ربه أَي: صفاته، وإلا فشتان الفارق بين أوصاف القديم والحادث .

قال أبو الحسن النوري: "ليس التصوف رسمًا ولا علمًا، ولكنه خلق، لأنه لو كان رسمًا–لباسًا ومظاهر خارجية–لحصل بالمجاهدة، ولو كان علمًا لحصل بالتعليم، ولكنه تخلق بأخلاق الله، ولن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم أو رسم". [3]

إشارة قرآنية ونبوية للفُتُوة

الفتوة مقام القوة، بل المتانة في القوة، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (الذاريات/٥٨)، فمن صفات الباري تعالى الرزاق، والباري تعالى

خلقه القرآن» رواه مسلم وغيره بقوله: ولا يبعد أن قولها: «كان خلقه القرآن» فيه رمز غامض وإيماء إلى الأخلاق الربانية، فاحتشمت الحضرة الإلهية أن تقول: كان متخلقًا بأخلاق اللَّه تعالى، فعبرت عن المعنى بقولها: «كان خلقه القرآن» استحياءً من سُبُحات الجلال، وسترًا للحال بلطيف المقال، وهذا من وفرة عقلها وكمال أدبها". عوارف المعارف للسهروردي (صـ٢٢٣)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية/ لأبي العباس شهاب الدين القسطلاني المصري(ت٩٢٣هـ)(جـ٢/صـ١٠٢)/ المكتبة التوفيقية، القاهرة– مصر ". **فلو عبر الصوفية بلفظ "أخلاق الله"** ولو لم يأت هذا التعبير عن رسول الله ρ. فصفات اللَّه سبحانه معروفة ولا نأخذ من صفات القدم شيئًا كما ذكر السيوطي. يراجع: فتاوى دار الإفتاء المصرية/ المؤلف: دار الإفتاء المصرية(جـ٧/صـ٣٧٨). بدون.

(١) الحديث سبق تخريجه، في المقدمة.

(٢)التعرف لمذهب أهل التصوف/ الكلاباذي (صـ٥)

(٣) الإمام عبد الحليم محمود وقضية التصوف، المدرسة الشاذلية (صـ٤٢٦).

وصف الرزاق بالقوي؛ لوجود الكفران بالمنعم به من المرزوقين، فيرزقهم مع كفرهم به، ولا يمنع عنهم الإنعام والرزق بكفرهم، مع كون الكفر بالنعم سببًا كافيًا لمنع النعمة، فلا يرزق الكافر مع وجود كفره بالرزق إلا من ثبت له الاتصاف بالقوة، فلذا وصفه تعالى بذي القوة المتين، فالمتانة في القوة تضاعفها، فلم يثبت الباري سبحانه لنفسه في هذا المقام نعت القوة فقط، بل وصف نفسه بأنه المتين فيها؛ فللقوة طبقات في التمكن من القوي، فوصف نفسه بالمتانة وهذه صفة أهل الفتوة. فالفتوة ليس فيها شيء من الضعف(١).

والإنسان المؤمن المتصدق أقوى من كل شيء، فرمز القوة هو مقام الفتوة، فللفتوة مقام القوة، فما خلق الله من الطبيعة أقوى من الهواء، إلا صاحب الفتوة المؤمن المتصدق في خفاء، كذا ورد في الحديث النبوي: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ، فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ، فَتَعَجَّبَتِ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ خَلْقِ الْجِبَالِ، فَقَالَتْ يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْجِبَالِ؟ قَالَ نَعَمِ الْحَدِيدُ ....قَالَتْ يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ نَعَمِ ابْنُ آدَمَ يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ»(٢) .

هل تصح الفُتُوَّة صفة للباري تعالى؟

عند السادة الصوفية "الفُتُوَّة نعت إلهي؛ فالباري تعالى ليس له من لفظها اسم إلهي يسمى به؛ لأن الأسماء الإلهية توقيفية"(٣). أي: لا يُسمى الباري تعالى بالفتى.

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي(ت٦٣٨هـ) (جـ١/صـ٣٦٥).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل (جـ١٩/ صـ٢٧٧)برقم (١٢٢٥٣) وعلق الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٣) الفتوحات المكية لابن عربي (جـ٣/صـ٣٤٩).

فالأسماء الإلهية توقيفية عند أكثر الأشاعرة، وأهل الحديث، والصوفية. (١)

معنى التوقف فيه خلاف بين متكلمي الأشاعرة والصوفية: فعند متكلمي الأشاعرة: معنى التوقف هو أن طريق العلم بالأسماء الإلهية هو النص الشرعي عليها، ولو آحادًا بخلاف من اشترط التواتر والإجماع. وهل يصح فيها القياس أو لا يصح؟ فيه تردد؛ بناءً على أن التسمية من باب العمل، أو من باب الاعتقاد؟(٢). فالتسمية قد تكون من باب العمل أي: تسميتنا له بكذا، أي: تلفظنا ونطقنا بهذا اللفظ على أنه اسم له تعالى، فتكون التسمية من باب عمل الجوارح، أي الإقرار اللساني، فالتسمية من المطالب الشرعية، وقد تكون التسمية من الاعتقاد، والتصديق القلبي، فتكون التسمية من المطالب الاعتقادية.

وعند الصوفية: أسماء الله تعالى توقيفية أي: أنها موقوفة على التعليم الإلهي، والتعليم الإلهي هو: إلقاءُ الحق على قلب عبده علمًا من لَدُنْه؛ قال تعالى {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} [البقرة/٣١]، وقال تعالى {وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} [الكهف/٦٥](٣)

---

(١) في مسألة أن أسماءَهُ وصفاتهِ تعالى توقيفية أو غير توقيفية مذاهب: **الأول** للأشعري: لا يجوز إطلاق الأسماء والصفات على الباري تعالى إلا بإذن. **والثاني** رأي الباقلاني: أن كل ما دل على ما يليق بجلاله صح بلا توقف. **والثالث:** رأي الغزالي بالتفصيل لا يجوز في الاسم إلا بالتوقيف، أما الصفة فلا توقف، فجوز إطلاق الصفة وهي: ما دل على معنى زائد على الذات، ومنع إطلاق الاسم وهو: ما يدل على نفس الذات، وجوز الصفة لتضمنها النسبة الخبرية وهي راجعة إليه. **والرابع:** طائفة حكموا بمبادئ العقول، ولم يعولوا على الشرع فقالوا لا نسمي الله تعالى باسم ولا نصفه بصفة فعطلوا. **والخامس** طائفة أطلقوا عليه كل اسم ونسبوا إليه كل فعل، **والأرجح الطريقة التي ذكرها الغزالي، أو الرأي الثالث. يراجع:** تشنيف المسامع بجمع الجوامع/ الزركشي(ت٧٩٤هـ)(جـ٤/صـ٢٧٨، ٢٧٩)، وقارن أيضا: التمهيد للباقلاني (صـ٢٢٧: ٢٣٧)، المقصد الأسنى للغزالي (صـ١٤٧).

(٢) تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب/ لأبي عبدالله البكي الكومي(صـ٥٨).

(٣) تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب/ البكي الكومي (صـ٥٩)

فالتوقف عند كل فريق يتبع منهجه في المعرفة، فمتى كانت المعرفة متوقفة عنده على الشرع كان إطلاق الأسماء الإلهية موقوفًا على الشرع، ومتى كانت المعرفة لا تكون يقينية في أعلى درجاتها إلا بالإلهام والبصيرة كان إطلاق الأسماء موقوفًا على ذلك.

ومن إشارات الفُتُوَّة الإلهية

أولا: أن الله تعالى ثبت له الغنى على الإطلاق، **شرعًا** بقوله تعالى(فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) آل عمران/٩٧، **وعقلًا** بأنه لو لم يكن واجب الوجود لذاته لكان ممكنًا؛ لاتصافه تعالى بالوجود–فالموجود واجب وجوده واجب، وممكن–، ولو كان ممكنًا لافتقر في وجوده إلى المرجح، ولو افتقر إلى المرجح لم يكن واجب الوجود، وأيضا لم يثبت له الغنى على الإطلاق، لكنه ثبت له الغنى الكامل المطلق، ومن ثبت له الغنى الكامل قبل إيجاده للعالَم ثم أوجد العالَم "فما أوجده افتقارًا إليه، بل أوجد العالَم للعالَم إيثارًا له على انفراده بالوجود، وهذا هو عين الفُتُوَّة"(١).

ثانيا: من إشارات الفتوة الإلهية قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات/٥٦، فالباري تعالى خلقهم لينعمهم بالوجود، وليخرجهم من شر العدم، وفي ذلك إيثار لهم على انفراده بكل ما استخلفهم فيه، من التخلق بالأسماء الإلهية. ثم لعلمه تعالى أن الامتنان يقدح في النعمة عند المنعم عليه ستر ذلك وأخفاه؛ إيثارًا لهم فقال: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات/٥٦، فالباري تعالى تفضل علينا بالوجود والمعرفة به، ولم يمن علينا بذلك؛ لأن الفُتُوَّة على الحقيقة إظهار الآلاء والمنن، وستر المنة والامتنان كما قال تعالى(لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) البقرة /٢٦٤، وتتجلى العظمة الإلهية في أنه تعالى آثر

---

(١) الفتوحات المكية لابن عرب (جـ٣/صـ٣٤٩).

محمدًا صلى الله عليه وسلم على نفسه جل وعز؛ لئلا يجعل له نعتًا فيما أجرى عليه لسان ذم، فقال له يا محمد قل لهم: : (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ) الحجرات/١٧، ولو شاء لقال: بل أنا أمن عليكم أن هداكم الله بي للإيمان الذي رزقكم وأسعدكم بتوحيده. فما جعله الباري تعالى محلًا للمن، هذه هي الفُتُوَّة الإلهية التي لا يشعر بها، فحكمها موجود في الحق، وإطلاقها لم يرد في كتاب ولا في سنة؛ ولا يلزم من الأمر الذي لله منه حكم أن يطلق عليه منه اسم؛ لأن الأسماء توقيفية. (١)

وإذا كان الخالق مع غناه وما له من صفات الكمال قد ظهرت له هذه النسبة في إيثاره إياك، فالعبد أولى بهذه الصفة أن يتخلق بها في حقه تعالى خاصة، لا في حق الخلق، كما اتصف هو بها في حق الخلق هذا هو عمدتها فينا، فالفتى من لا يراعي الخلق ولا يتفتى عليهم، فإن التفتي عليهم إنما هو لله كما ذكرنا، فيكون هذا العبد يطلب التفتي على جانب الحق إيثارًا له على الخلق، فلا يتفتى على الخلق إلا بصفة حق أو أمر حق، فيكون الحق المتفتي لا هذا العبد، هكذا هو التخلق بالفُتُوَّة وإلا فلا. (٢)

المطلب السادس: مقام فُتُوَّة لا فُتُوَّة (ترك الفُتُوَّة)

إذا كان "أصل الفُتُوّة–عامة وخاصة–أن يكون العبد دائمًا في أمر غيره".(٣) أخذًا واستنباطًا من قول النبي صلى الله عليه وسلم«وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(٤) فترك الفُتُوَّة يسمى مقامًا في اصطلاح الصوفية، وذلك إذا كان عندهم تعريف "**ترك الفُتُوّة:** مشيك في حق نفسك، إذا كان ذلك تنفيذًا

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي (جـ٣/صـ٣٥٠)

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي(ت٦٣٨هـ) (جـ٣/صـ٣٥١)

(٣) الرسالة القشيرية(جـ٢/ صـ٣٨٠).

(٤) صحيح مسلم(جـ٤/صـ٢٠٧٤) برقم(٢٦٦٩) باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن.

لأمر الله، وليس لما يقتضيه طبع النفس، فصاحب هذا المقام يسمى صاحب فُتُوَّة لا فُتُوَّة متصف بالنقيضين".[1] أي: بحسب اعتبارين، فلا يُتوهم أنه جمع بين النقيضين الذين يُمتنع اجتماعهما عقلا.

فلو كانت **الفُتُوَّة**–على ما تقدم–العمل في حق الغير إيثاراً على النفس، كان ترك المشي في حق الغير، والعمل في حق النفس تنفيذًا للأوامر الشرعية، وامتثالًا للشرائع الإلهية، سمي ذلك بمقام ترك الفتوة؛ لأن حق النفس مقدم على حق الغير فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول «ابدأ بِنَفْسِك فَتصدق عَلَيْهَا، فَإِن فضل شَيْء فلأهلك»[2]، ويقول أيضا:«ابْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ»[3] فالفتوة مثل الحب في الحكم، فإن الحب يقتضي في المُحِب الاتصاف بالنقيضين، الحب وعدم الحب، إذا صادف واتفق أن يكون أحد النقيضين محبوباً للمحبوب وكان مما يكرهه المُحِب. فالإنسان بطبعه يحب الصحة، ويكره شرب الدواء المر، فلو صادف أن كانت الصحة تتطلب شرب الدواء المر، فالإنسان هنا يتصف بحبه شرب المر من الدواء لأنه مطلوب للصحة، فيكون الدواء هنا محبوبًا ومرادًا لغيره.

والفتى هو الماشي في الأمور بأمر غيره لا بأمر نفسه، وفي حق غيره لا حق نفسه، لكن كل ذلك بأمر ربه، فهما طرفان: أحدهما يسوغ وهو المشي في الأمور بأمر الله في حق الغير، والشطر الآخر لا يسوغ في كل موطن.[4]

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي(جـ٣/صـ٣٥١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (جـ٢/صـ٦٩٢) برقم(٩٩٧) باب الابتداء في النفقة بالنفس.

(٣) ذكره الحكيم الترمذي (ت٣٢٠هـ) في نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم (جـ١/صـ١٤٦) تحقيق: عبد الرحمن عميرة/ط: دار الجيل– بيروت بدون.

(٤) الفتوحات المكية لابن عربي(جـ٣/صـ٣٥١).

فعند قيام العارف في مقام أداء الحقوق إلى أصحابها، وإذا وجب عليه أداء الحقوق لأصحابها، لم يثبت له مطلق الفتوة، فيؤثر الغير على الإطلاق؛ لأنه يبدأ بأداء حق نفسه، وإذا بدأ به قدح في شرط الفتوة، ولو لم يبدأ بأداء حق نفسه قدح في الطرف الآخر من الفتوة، وهو امتثال أمر الله فيبقى هالكًا.

هنا يأتي الشيخ الأكبري محي الدين ابن عربي فيضع لهذا العارف حلًا لهذه المعضلة، وفهمًا لكلام النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ»(١) فيجمع في هذا الحل بين القران الكريم والحديث النبوي السابق فيقول: و"للتخلص من ذلك يقول: أنا مؤمن والله تعالى قال: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ} التوبة/١١١، فنفسي للحق لا لي، فأبدأ بها، وأوثرها على غيرها من النفوس من كونها لله لا لي، فلهذا **تَكمُلُ الفتوة في تركها** المعلوم عند المحجوبين عن إدراك حقائق الأمور، **فإن مالكها أمرني بتقديمها في أداء الحقوق**".(٢)

ونظرا للأهمية البالغة للنفس في عالم الحقوق، فالحديث عن حقها جاء بعد حق الله تعالى، ذلك لأنها أقرب الدوائر التي ينبغي على الإنسان أن يحدث فيها تزكيةً وتغييرًا إيجابيًا، قبل أن ينتقل إلى دوائر أخرى؛ فالعبد رغم حبه لنفسه، إلا أنه قد يظلمها ويوردها المهالك إذا لم يعلم حقوقها عليه؛ ولذا احتلت معرفة النفس مكانة عالية، فكانت طريقًا إلى معرفة الله تعالى، كما مر في المعرفة. يقول الإمام علي τ:" مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ "، ويقول موضحًا أثر معرفة النفس في تحصيل الفلاح والفوز بالآخرة:" نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس."(٣)

والنفس في نظر شريعة الإسلام هي أغلى ما يملك الإنسان؛ ولذا اشتراها الباري تعالى من عبده بالجنة فقال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي(جـ٣/صـ٣٥١).

(٣) حقائق التفسير= تفسير السلمي (جـ٢/صـ٨٦) تفسير سورة النمل.

وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ] (التوبة/١١١)، وتحصيل الجنة لا يكون إلا بإعطاء النفس حقها، المتمثل في صرفها كاملة في طاعة الله تعالى، بتخليتها من الذنوب والأدران، وتحليتها بالتقوى والإيمان، **والتحلية والتخلية** يمثلان معا الجهاد الأكبر كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال:"المجاهد من جاهد نفسه"(١) .

فالمعركة مع النفس دائمة لا هدنة فيها، إما أن نوفيها حقها بتزكيتها، فنكسر صنمها ونقتل شهواتها وملذاتها، فتخفق أجنحتها صاعدةً، صعودًا لَا نعرفه وَلَا تعرفه الدُّنْيَا لغير الصُّوفِيَّة الإسلامية، فيكون صاحبها قائمًا بمقام الفتوة، متمكنا منها فيفوز بالدنيا والآخرة، وإما أن نبخسها حقها باتباع شهواتها وأهوائها، فنكون من الخائبين. وهذه المعركة ليست قتلا للنفس، بل لإحيائها وتحويلها إلى نفس مطمئنة.

وختامًا: فهذا جهد المُقلِ أضعه بين يدي القارئ الكريم، فإن كان فيه ما يستحق النظر فهذا فضل من الله تعالى، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، وحسبي أن من الضروري دائما أن كل عمل بشري يعتريه النقص؛ فالكمال لله تعالى وحده، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (جـ٤/صـ٣٧٤، ٣٨٢) برقم (٢٣٩٥١، ٢٣٩٦٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات،

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات

أهم النتائج

١-الاصطلاحات الصوفية تستند على اللغة العربية؛ فتعريف الفُتُوّة عند بعض الصوفية يتفق مع تعريف الفُتُوَّة عند أهل اللغة، فالفُتُوَّة عند أهل اللغة يختص معناها بأعلى درجات السخاء والكرم، وعند بعض الصوفية الفُتُوَّة حسن الخلق، وهو التعريف الذي استوعب حقيقة الفُتُوّة، فاللغة العربية التي شرفها الله تعالى باختيارها لسانًا لشرائعه وأحكامه، وخزانة لكنوزه وأسراره تؤيد الطرح الفكري للصوفية في تعريف الفتوة.

٢-الفتوة ترتبط بالذكر من خلال تقرير أكثر الصوفية أن الإقرار بالشهادتين جزء من حقيقة الإيمان، من هنا اهتم الصوفية بالذكر لتترقى نفوسهم في الصفاء، ولتتحقق من مقام الفتوة، فتصل إلى كمال الإيمان.

٣-تصح فتوة كل مسلم بالغ عاقل مستقيم الحال صاحب مروءة، حتى العبد غير الحر تصح فتوته، فكل من تنزه عن الأدناس وتحققت فيه الشروط تصح فتوته صغيرًا في العمر كان أو كبيرًا، وتبطل فتوة السكران، وشارب الخمر، وقاطع الطريق، وخائف السبيل، والمارق من الدين، ومرتكب الكبيرة، بل ومن كان مصرًا على الصغائر.

٤-كل مؤمن قام إلى الله بإسقاط العلائق عنه، وكسر صنم نفسه بالتخلية عن رذائل الأخلاق، وخلى لله تعالى نفسه من أهله وماله وولده، وحلى نفسه بمكارم الأخلاق سمي ولقب بالفتوة، وكان ذلك طريقًا لخرق العادة له والتأييد بالكرامات.

٥-الفتوة عند الصوفية تدخل في المقامات على الأرجح عندي، خلافًا لمن جعلها من باب الأخلاق، وبالتحقق بمقام الفتوة تخفق أجنحة النفس صاعدةً، صعودًا لَا نعرفه وَلَا تعرفه الدُّنْيَا بنتائجه الإيمانية التطبيقية لغير الصُّوفِيَّة الإسلامية، فهي منهج يصفو بها المريد لله تعالى من نفسه وأهله وماله وولده،

ويطبقها مع المخلوقين بكرم صحبته لهم، ومع الوالدين بالخضوع والمطاوعة لهم، ومع من دونه بالعطف، ومع أقرانه وأشكاله بالموافقة والألفة، ومع الفقراء بتعظيم حرماتهم ومعرفة أقدارهم، وغير ذلك.

٦-الفتوة تنطوي على حقائق إلهية؛ فموضوع المعرفة الغرض الأصلي للتصوف؛ فالإنسان بوصوله لمعرفة الله يكون سر ارتفاعه على غيره من بني نوعه، وبني جنسه؛ ولذلك تظهر جميع المقامات والأحوال كأنها طريق وضعه الصوفي لنفسه للوصول للمعرفة الإلهية، فصاحب الفتوة يعرف الله بأعلى درجات المعرفة بطريق الإلهام، وبلا وساطة من الحس والعقل، وهذه معرفة أيقن وأعلى من غيرها. ومن هنا كانت الفتوة مقام القوة، بل المتانة في القوة، حتى صحة الفتوة نعتًا إلهيًا، فوصف الرزاق تعالى بذي القوة المتين{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (الذاريات/ ٥٨).

٧-المداومة على ذكر الله بلفظ الشهادتين «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» يورث الذاكر التمكن من الفُتُوَّة، **وفي اصطلاح الصوفية على معنى الفتوة رد على من قال** إن ذكر الله بإثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم حاجب عن الوصول. فكيف يكون ذكر الله بإثبات رسالة نبيه صلى الله عليه وسلم مع التهليل حجابًا ومانعًا عن الله تعالى؟! مع أن المصطفى صلى الله عليه وسلم هو الباب الذي ندخل منه لله تعالى، والطريق الذي نصل به لله تعالى، بل هو الباب الذي يصل به الخلق جميعًا من الأولين والأخرين.

٨-الفُتُوّة مقام أعلى من التوكل، والمسالمة، والتفويض، والمروءة.

٩-ترك الفُتُوّة بأن يمشي العبد في حقه نفسه، إذا كان تنفيذًا لأمر الله، وليس لما يقتضيه طبع النفس، هنا يكون ترك الفتوة مقامًا أعلى من مقام الفتوة.

توصيات: الاهتمام بدراسات قضايا التصوف ومشكلاته، دراسة موضوعية من خلال التراث الصوفي، كقضية الفناء. ومحاولة الرجوع للعلوم المبنية على

الأدلة الشرعية كعلم التصوف؛ لوضع حلول لمشكلتنا المعاصرة، بتصحيح المفاهيم المغلوطة التي تنتشر في أيامنا المعاصرة كمفهوم العزلة، وتدين العبادة؛ فبهذه العلوم تقدمت الأمة، وبالابتعاد عن هذه العلوم أصاب الأمة ما أصابها.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

*****

أهم المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم.**

٢- **صحيح البخاري** = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه/ للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري (ت٢٥٦هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر/ ط:١/ دار طوق ١٤٢٢هـ .

٣-**صحيح مسلم** =المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم/ لـ مسلم بن الحجاج النيسابوري(ت ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت. بدون.

٤-**إحكام الدلالة** لزكريا الأنصاري على تحرير الرسالة القشيرية/ تحقيق: عبد الجليل العطا البكري/ط:١/دار النعمان للعلوم- دمشق١٤٢٠هـ.

٥-**الإحكام في أصول** الأحكام /لأبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت٦٣١هـ) تحقيق: عبد الرزاق عفيفي/ط: المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق-لبنان. بدون.

٦-**إحياء علوم الدين**/ أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ط: دار المعرفة – بيروت.

٧-**آداب المريدين** لأبي النجيب السهروردي عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه الصديقي البكري(ت٥٦٣هـ) تحقيق: عاصم الكيالي ط١: الكتب العلمية ٢٠٠٥م.

٨-**بصائر ذوي** التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ الفيروزآبادى مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(ت٨١٧هـ) تحقيق: محمد علي النجار/ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٩٢م.

٩-**تبصرة الأدلة** لأبي المعين النسفي ميمون بن محمد ابن مكحول/تحقيق شيخناأ. د/ محمد الأنور حامد عيسى، ط١/ المكتبة الأزهرية للتراث(٢٠١١)م.

١٠-**التعرف لمذهب** أهل التصوف/ لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي الحنفي (ت٣٨٠هـ) دار الكتب العلمية/بيروت.

١١-**تفسير التُستري** / أبو محمد سهل بن عبد الله التُستري (ت٢٨٣هـ) جمعه: أبو بكر البلدي/ تحقيق: محمد السود/ط:١/بيضون/ دار الكتب العلمية – بيروت١٤٢٣هـ

٢١-**تفسير السلمي** = **حقائق التفسير**/ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي(ت٤١٢هـ) تحقيق: سيد عمران/ط: دار الكتب العلمية/بيروت ٢٠٠١م

٢٢-**تفسير القشيري** = **لطائف الإشارات** لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)تحقيق: إبراهيم البسيوني/ ط:٣/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٣-**تفسير ابن عجيبة** = **البحر المديد** في تفسير القرآن المجيد/أبو العباس أحمد ابن عجيبة (ت١٢٢٤هـ) تحقيق: أحمد القرشي/ط: د/ حسن زكي/القاهرة ١٤١٩هـ.

٢٤٤-**تمهيد الأوائل وتلخيص** الدلائل لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب بن جعفر، تحقيق: عماد الدين حيدر/ ط:١/ مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ١٩٨٧م.

٢٥-**التوحيد** لأبي منصور الماتريدي محمد بن محمد بن محمود (ت٣٣٣هـ) تحقيق: فتح الله خليف/ط: دار الجامعات المصرية. بدون.

٢٦-**حاشية الدسوقي** على شرح أم البراهين للسنوسي وبهامشها الشرح المذكور، ط: دار إحياء الكتب العربية لـ عيسى البابي الحلبي وشركاه. بدون.

٢٧-**حاشية السكتاني على شرح أم البراهين** للسنوسي. تحقيق أحمد بن ذو الكفل/ ط:١/دار الصالح خلف الجامع الأزهر بالقاهرة ٢٠٢١م.

٢٨-**حاشية الشرقاوي** على شرح الهدهدي لأم البراهين للسنوسي، ط: مطبعة بن هلابي-فلابي. تايلاند/ عن مطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر. بدون تاريخ.

٢٩-**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) ط: دار السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٣٠-**ديوان ذي الرمة شرح** أبي نصر الباهلي رواية ثعلب/ لأبي نصر أحمد الباهلي(ت٢٣١هـ)تحقيق: عبد القدوس أبو صالح/ ط:١/ مؤسسة الإيمان جدة/ ١٩٨٢م

٣١-**الرسالة القشيرية**/عبد الكريم بن هوازن القشيري(ت ٤٦٥هـ) تحقيق: الإمام عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف/ط:دار المعارف.

٣٢-**رسالة الملامتية** لأبي عبد الرحمن السلمي مع كتاب **الملامتية والصوفية وأهل الفُتُوّة** لأبي العلا عفيفي/ط: دار احياء الكتب العربية/ الحلبي وشركاه ١٩٤٥م.

٣٣-**شرح الأنفاس الروحانية** للجنيد وابن عطاء/لـ شمس الدين الديلمي (ت٥٨٩هـ) تحقيق: أحمد فريد المزيدي /ط: دار الكتب العلمية بيروت لبنان. بدون.

٣٤-**شرح المواقف** للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني -ومعه حاشيتا حسن جلبي الفناري وعبد الحكيم السيالكوتي. تصحيح: محمود عمر الدمياطي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت لبنان/ بدون تاريخ.

٣٥-**شرح أم البراهين للسنوسي**. ط:١/ مطبعة الاستقامة ١٣٥١هـ.

٣٦-**طبقات الصوفية، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات/** لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي النيسابوري، (ت٤١٢هـ) تحقيق: مصطفى عطا/ ط: دار الكتب العلمية١٩٩٨م.

٣٧-**عدة المريد الصادق/** شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد البرنسي، المعروف بـ زروق(ت٨٩٩هـ) تحقيق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني / ط:١/ دار ابن حزم٢٠٠٦م

٣٨-**عوارف المعارف/**شهاب الدين، السهروردي/ط:١/مكتبة الإيمان ١٤٢٦هـ

٣٩-**فتح الباري** شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني. رقم أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي/ أخراجه: محب الدين الخطيب/ط: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤٠-**الفُتُوّة** لأبي عبد الرحمن السلمي(ت٤١٢هـ) تحقيق: د. إحسان ذنون الثامري/ د. محمد القدحات /ط:١/دار الرازي/عمان-الأردن٢٠٠٢م.

٤١-**الفُتُوّة** لأبي عبدالله محمد بن أبي المكارم المعروف بـ(ابن المعمار البغدادي الحنبلي) (ت٦٤٢هـ) تحقيق: أ.د/ مصطفى جواد، أ.د/محمد الهلالي، أ.م/عبدالحليم النجار، أ.م/أحمد القيسي/ط: مكتبة المثنى بغداد ١٩٥٨م.

٤٢-**الفتوحات المكية** لابن عربي (ت٦٣٨هـ) ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين/ ط:١/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٩٩م.

٤٣-**في التصوف الإسلامي** وتاريخه/ رينولد نيكلسون(صـ١٠٤) ترجمة: أبو العلا عفيفي/ ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٩م.

٤٤-**لسان العرب** /محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ)/ ط:٣/ دار صادر-بيروت١٤١٤ هـ.

٤٥-**اللمع**/السراج الطوسي[ت٣٧٨ هـ]تحقيق: عماد البارودي ط: المكتبة التوفيقية

٤٦- **اللمع في الرد على أهل الزيغ** والبدع/ لأبي الحسن الأشعري(ت٣٢٤هـ)

٤٧-**لواقح الأنوار القدسية** المنتقاة من الفتوحات المكية/ عبد الوهاب الشعراني/ تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط/ ناشرون- بيروت- لبنان- بدون.

٤٨-**المسالك في الخلافيات بين** المتكلمين والحكماء/ مستجي زاده عبد الله بن عثمان، تحقيق: د. سيد باغجوان، ط:١/ دار صادر بيروت، (٢٠٠٧م).

٤٩-**معجم اصطلاحات الصوفية** عبد الرازق الكاشاني/ تحقيق: د عبد العال شاهين/ ط:١/ دار المنار بالحسين القاهرة ١٩٩٢م.

٥٠-**المغني في أبواب التوحيد والعدل** للقاضي عبد الجبار(ت٤١٥هـ) الجزء الرابع كاملا. في النظر والمعارف، تحقيق: د. إبراهيم مدكور، وبإشراف د. طه حسين/ط: الدار المصرية للتأليف والترجمة. وبدون تاريخ.

٥١-**المقدِّمة في التصوُّف،** لأبي عبد الرحمن السلمي تحقيق: يوسف زيدان/ ط١/ دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩م.

٥٢- **منازل السائرين** بشرح لعفيف الدين ابن التلمساني (ت٦٩٠هـ) إعداد/ عبد الحفيظ منصور، ط: دار التركي بتونس ١٩٨٩م.

٥٣-**منازل السائرين** لأبي إسماعيل الهروي(ت٤٨١) وشرحها القاشاني تحقيق: محسن بيدارفر/ ط:١/مؤسسة التاريخ العربي للطباعة- بدون.

٥٤-**المنقذ من الضلال/** لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي(ت٥٠٥هـ) تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود/ دار الكتب الحديثة، مصر.

٥٥-**نتائج الأفكار القدسية لشيخ الأزهر** الأسبق العلامة مصطفى العروسي في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية لزكريا الأنصاري/تحقيق: عبدالوارث محمد/ ط:٢/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ٢٠٠٧م.

مع بعض المصادر الأخرى التي ذكرت في ثنايا البحث، ولم تذكر هنا خشية الإطالة والملل. وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المحتويات

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات
أهم المصادر والمراجع
فهرس المحتويات